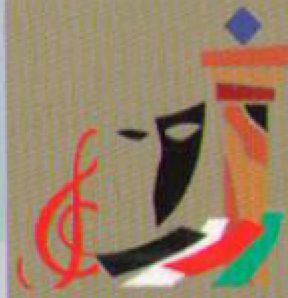


من المسرح العالمي

الهبوط من جبل مورجان



تأليف: آرثر ميللر

ترجمة وتقديم: أ. عبد السلام إبراهيم

مراجعة: أ. د. محمد مدين

الدراسة النقدية :أ. د. أسامة أبوطالب

ABU ABDO ALBAGL

العدد 380

يناير 2016

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت



الهبوط من جبل مورجان

تأليف: **آرثر ميللر**

ترجمة وتقديم: **أ. عبد السلام إبراهيم**

مراجعة: **أ. د. محمد مدين**

الدراسة النقدية: **أ. د. أسامة أبوطالب**

من
المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

المشرف العام:

م. علي حسين اليوحة

مستشار التحرير:

د. حسين عبدالله المسلم

هيئة التحرير:

د. إلهام عبدالله الشلال

د. عادل سالم المالك

د. علي عبدالله حيدر

مدير التحرير: عبدالعزيز سعود المرزوق

سكرتير التحرير: أ. بشرى فايز الحربي

almasrahalaalami@yahoo.com
almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

الهبوط من جبل مورجان

ISBN ٩٧٨-٩٩٩٠٦-٠٠-٤٦٦-٥

رقم الإيداع: (٢٠١٥/١٠٠٤)

الهبوط من جبل مورجان

تأليف: **آرثر ميللر**

ترجمة وتقديم: **أ. عبد السلام إبراهيم**

مراجعة: **أ. د. محمد مدين**

الدراسة النقدية: **أ. د. أسامة أبوطالب**

العنوان الأصلي للمسرحية

The Ride Down Mt. Morgan

الفهرس



مقدمة

- آرثر ميللر (١٩١٥-٢٠٠٥) من عمالقة المسرح الأمريكي المعاصر وأحد رموز الأدب والسينما الأمريكية. كان من كبار المدافعين عن الحرية الفكرية، منددا بكل أشكال القمع، وعُرف بوضع شخصيات مسرحياته في صراع مع نفسها وكان من المنادين بفكرة المسرح في متناول الجميع. واشتهر بآرائه اليسارية، لذا شملته لجنة تحقيق النشاط المعادي لأمريكا، وقد اتُهم بالشيوعية بسبب نقده للسياسة الأمريكية الداخلية والخارجية واتصاله واجتماعه بكتاب شيوعيين، تلك الفترة المسماة بالمكارثية والتي شنها جوزيف مكارثي (١٩٠٨-١٩٦٧) السناتور الجمهوري، والتي بدأها بالادعاء بأن ٢٠٥ موظفين من موظفي وزارة الخارجية الأمريكية تعاطفوا مع الشيوعية، ثم ترأس اللجنة الفرعية الدائمة للتحقيق عام ١٩٥٣، واتسعت دائرة الشكوك لتشمل الكتاب والمخرجين والممثلين. حضر ميللر عام ١٩٤٩ مؤتمرا يؤيد فيه السوفييت، وهو المؤتمر الثقافي والعلمي للسلام العالمي مع الكاتب المسرحي اليساري كليفورد أوديتس. وكان له موقف ضد الحرب على فيتنام، ونشاط مكثف في مجال حقوق الإنسان.

- كان ميللر جريئا وتتسم موهبته بالعبقرية الخلّاقة والإنسانية والبصيرة والصدق والنقمة على القيم الرأسمالية والتحليل النفسي لشخصياته. عُرف عن ميللر أنه كان يتدخل دائما في الإخراج ولا يكتفي بدور كاتب المسرحية لأنه كان يحمل في مخيلته وهو يكتب المسرحية الرؤية الإخراجية التي تناسبها.

- زار ميللر تركيا عام ١٩٨٥ مع الكاتب المسرحي الإنجليزي هارولد بنتر الذي تحدث عن موضوع التعذيب أمام السفير الأمريكي الذي طرد بنتر، فتضامن معه ميللر وغادر الحفل الذي كان مُقاما على

شــرفه. ومن أهم مواقفه انتقاده لسياســة الاســتيطان التي تقوم بها إســرائيل، فأرسل شــريط فيديو ينتقد فيه تلك السياسة وقتل المدنيين. تميزت كتاباته المســرحية بتناولها كل إشكاليات الإنسان المعاصر. كتب العديد من المسرحيات منها «البوتقة» والتي تتشابه أحداثها مع الحقبة المكارثية والتي كان يتزعمها الســناتور جوزيف مكارثي لملاحقة الشــيوعيين، والقائمة الســوداء التي وضعت في أيامــه للكتاب والفنانين الشــيوعيين، و«مشــهد من الجســر» التي أخرجهــا بيتر بروك في لندن عــام ١٩٥٦، و«كلهم أبنائي»، و«وفاة بائع متجول» التي لا تزال تُدرس في الجامعات والمدارس، كما أنها تعرض على المسارح في جميع أنحاء العالم.

- ولــد آرثر ميللر في مانهاتن بمدينــة نيويورك، بالقرب من هارلم فــي ١٥ أكتوبر ١٩١٥. كان أبــوه مهاجرا بولنديــا، صاحب مصنع معاطف نساء ناجح، وكانت أمه مُدرسة. عندما انهارت بورصة وول ستريت في عام ١٩٢٩ أصابت عمل الأسرة في مقتل، وعلى إثر ذلك انتقلت من شــقتها الأثيرة في الجانب الشــمالي لسنترال بارك إلى بيت صغير في بروكلين. إن سنوات الكفاح والفقر التي خلقتها فترة الكساد العظيمة كان لها عظيم الأثر في مسرحيات ميللر اللاحقة.

- بعد أن تخرج ميللر عام ١٩٣٣في مدرســة أبراهام لينكولن العليا فــي بروكلين حيث حقق فيها نجاحا كبيــرا كرياضي أكثر من كونه طالبا عمل موظفا في مخزن قطع غيار سيارات، وامتهن العديد من المهن، حاول الالتحاق بجامعة ميتشــجان لكن طلبه قوبل بالرفض. ثــم قدم طلبا آخر وأرفق فيه خطابا ذكر فيه أن الوظيفة التي تأخذ منــه كل الوقت قد أنضجتــه. فنجحت جرأة ميللــر وتلقى موافقة استثنائية للالتحاق بالجامعة عام ١٩٣٤.

- كانــت رواية دستويفســكي «الأخــوة كرامازوف» هــي نقطة تحول



فـــي حياة ميللر، فقد ألهمته وأثارت موهبتـــه الأدبية الكامنة فكتب مســـرحيته الأولى «لا يوجـــد أوغاد» وراوده الأمل فـــي نيل الجائزة وقدرها مائتان وخمســـين دولارا. تدور أحداث تلك المسرحية التي كتبها في ســـتة أيام فقط عن فترة الكســـاد الاقتصادي عام ١٩٢٩، مرورا بالثلاثينيات وبداية الأربعينيات والتي بدأت مع انهيار ســـوق الأســـهم، وانهيار سوق التجارة العالمية. (هي ســـيرة ذاتية غزيرة) والتي مرت بها نيويورك، لم تكن ســـببا في أن يكسب نصف الجائزة فحســـب، وإنما كانت حافزا له للاستمرار في الكتابة للمسرح. في العام التالي أعاد كتابة المسرحية باسم «ينهضون أيضا» وفاز بجائزة نيويورك جيلد بيرو للمسرح الجديد.

- كانت تلك المســـرحية هي أول مســـرحية تعرض لميللر. كما أنها عرضت على مسرح جامعة ميتشجان، وفرع دترويت لمشروع المسرح الفيدرالـــي. في عام ١٩٣٧ فاز بجائزة هـــوب وود مرة أخرى. وفي العـــام التالي تخرج في الجامعة بعد حصوله على ليســـانس الآداب في اللغة الإنجليزية وآدابها.

- كتب ميللر للإذاعة ولمشـــروع المســـرح الفيدرالي. تزوج في تلك الفترة مـــن زميلته وحبيبته ماري جريس ســـلاتري في عام ١٩٤٠، وانتقل إلى شـــقة في بروكليـــن هايتس. أنجبا ولديـــن هما روبرت وجين.

- كان آرثـــر ميللر شـــديد الإعجاب بالكُتاب المســـرحيين الإغريق، وبدأ هذا الإعجاب خلال مجهوداته المبكرة في الكتابة المسرحية، عندما كان في جامعة ميتشـــيجان أكد على اندماجه في التيار العام الذي بدأ مع إيســـخيلوس، واستمر قرابة ألفين وخمسمائة عام من الكتابة المســـرحية. ســـأله أحد الصحافيين عام ١٩٦٦ عن الكتاب المســـرحيين الذين أُعجب بهم عندما كان شـــابا فأجاب : «الكتاب

الإغريق بسبب الشكل المسرحي الرائع الذي يميزهم» . يعترف ميللر بأن ذكرياته تعاوده في أعماله المسرحية،أكثر من أي كاتب آخر، فيقول: يعالج الكاتب خبراته الحياتية ويضعها في قالب يأتي من فرضية فنية. الجميع لديهم سيرة ذاتية، لكن لا يستطيع الجميع أن يكتبوا مسرحية او أن يلحنوا مقطوعة موسيقية. المسألة الوحيدة هي كيف يمكنهم أن يمتعوا أو أن يجعلوا النتيجة مقنعة للآخرين، فذلك هو المحك.

- يعتبر منهج ميللر المسرحي مطابقا لمنهج النرويجي هنريك إبسن مؤسس الواقعية الاجتماعية التي تهدف إلى زيادة الإدراك والوعي بالحياة، وتغيير الواقع الاجتماعي.كان لميللر عادة دائمة وهي أنه كان يحافظ على قوة الاستشعار فتكون في حالة سليمة، ويحاول أن يقتفي أثر أوراق الحياة في أي لحظة.

- ركزت مسرحياته على العائلة والأخلاق والمسؤولية الشخصية، فقال ذات مرة إن مسرحياته لها معنى لأن عائلات الوقت الحالي مفككة. تزوج ميللر ثلاث مرات، الأولى كانت حبيبته في المدرسة العليا ماري سلاتري واستمر ستة عشر عاما حتى وفاتها عام ١٩٥٦، وأنجب منها ابنين. أما زواجه الأشهر فكان من نجمة هوليوود مارلين مونرو والذي استمر من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦١، قيل وقتها إنه كان غطاء لاتهام ميللر بالشيوعية. أما زواجه الثالث فاستمر أربعين عاما وكانت مصورة فوتوغرافية اسمها إنجي موراث وأنجب منها ولدين.

- إن مسرحيات ميللر أحجار زاوية في المسرح العالمي فكان كلما كتب مسرحية جديدة اعتبرت حدثا مهما في الثقافة الأمريكية. إن مسرحية «الهبوط من جبل مورجان» تتسم بجرأة التناول كما تتسم بالدقة الفكرية وهذا سبب كاف للصياح بهجة. في هذا

العمر المتأخر استطاع ميللر أن يعيد التقاط الصوت الحاد ونشاط منتصف العمر. فقَدر الكتاب المسرحيين أن يتوهجوا في وقت مبكر ويظلوا عقودا يتحملون إعادة النظر المؤلمة العامة لنجاحاتهم المبكرة ونتيجة لذلك تتدفق لديهم الإبداعات حتى موتهم.

- يطرح ميللر من خلال البطل عدة أسئلة تلخص ثقافته وخبرته الحياتية التي تؤدي إلى عدة أجوبة يستطيع من خلالها أن يتفوه بالحِكَمْ التي يستفيد منها الآخرون. ومن أهم تلك الأسئلة: "هل يمكنك أن تحب أكثر من امرأة بشكل حقيقي؟ هل تستطيع أن تحصل على كل ما تريده؟ عندما يشاهد المتفرجون مسرحية «الهبوط من جبل مورجان» سيتفقون على أن كل ما قام به ليمان كان فظيعا، لكنهم سيفكرون في أن البعض منه كان منطقيا.

- إن النقاد والجمهور الإنجليزي العادي يقبلون ميللر على أنه تعبيري، يعبر بطريقة شعرية كما يرى نفسه أكثر من كونه واقعيا جادا، ذلك القالب الذي تضعه فيه شركات الإنتاج الأمريكية، فيقول: «الجمهور والنقاد ليسوا مقيدين بالأشكال الكلاسيكية» وقال: «كنت قادرا على أن أبرهن أن تلك الأعمال صالحة في الوقت الحالي. لو نجحت المسرحية هنا فهؤلاء الناس سيقولون لماذا يذهب إلى لندن؟ لكنني أخشى أن الدرس لن يستوعبه أحد». لا توجد حبكة تقليدية في تلك المسرحية، ربما الحادث لا يعتبر حادثا، فهي تعرض موقفا متوترا، تنتهي المسرحية بصراع لا ينتهى عمدا، فتتكشف المواقف الرئيسية خلال الاسترجاعات (الفلاشباك). يلوم رجل الأعمال على فقدان الاتصال مع ابن غير شرعي من امرأة أخرى. يعتقد الرجل أنه واجه الشكل الحقيقي لأسد في رحلة سفاري فتراجع في اعتراف ظاهري بأن الحيوان هو مجرد صديق.

- تعتبر الذكريات استعارة مجردة لذكورته التي يحاول جاهدا

أن يُبقــي على حيويتها. أما الحقائق فــإن زادت أو قلت فهي ورطة أخلاقية. أو أن نغوص فى حشــمة كئيبة، مثــل الممرضة وعائلتها التي تكرس الحديث عن مزايا الأحذية الجديدة.

- إن مســرحية «الهبــوط من جبل مورجان» تستكشــف موضوعات خاصــة وعامة فــي آن واحــد، عبارة عــن قضايا معقــدة تخص العلاقات الخاصة. الســبب والمؤثر في أفعالنا وســبل التعامل مع أحلامنا، شــياطيننا وسبل الهداية منها. جلب ليمان بتعرضه لذلك الحادث عالم الخداع ليسقط في المستشفى حول فراشه. تقدم لنا المســرحية القلق والحزن، الخيانة الممزوجة بجرعة من الكوميديا المدهشة. المسرحية هي أكثر من كونها عزفا منفردا، بينما يحاول ليمان أن يبرر أفعاله، فهو يتحرك نحو الماضي، فيقول: «كن صادقا مع نفسك»، وفي سياق آخر يقول: «مع من أكون أمينا؟ مع الآخرين أم مع نفسي؟ إن حياته وصحته تتكشف أمام ناظريه، ولم يجد أحدا ليلومه إلا نفسه – وذلك ما يرفض أن يفعله.

- منــذ اللحظة التي ينام فيها ليمان معاقا عن الحركة فوق ســرير يُجر إلى مســرح عار. نبدأ الشــك في أن طريــق جبل مورجان هو إحدى الطرق الخاطئةً التي ســلكها كي يشــبع شهيته وشبقه للمال والجنس. فالحكمة التي قالها نستشفها «الحياة نهد كبير يرضع منه الجميع، والممازجة بين كلمة يرضع والنجاح حيث تتشــابه الحروف الإنجليزية ومنها يبتكر العبــارة، فما هي إلا تلاعب بالألفاظ يؤدي إلى ما سيحدث لاحقا».

- تبدأ المسرحية بحلم، الماضي يستمر بلا شك في حياة الشخصيات فــي الوقت الحاضر، يؤكد ميللر أنه أحد الموضوعات التي يتناولها في أعماله، فيقول: «المأســاة هــي قصة كيف أن الطيور تعود إلى بيوتها لتنام والهبــوط من جبل مورجان هو ذلك المثال. ومن خلال

ذلــك الحلم نعرف طبيعة عمله، وكيفية إدارته لأعماله ووجهة نظرة تجـاه النظام الاقتصادي، وذلك من خــلال خطاب يلقيه في مؤتمر عن التأمين. ثم تتجلى أمامنا كارثة تحيق بليمان فيلت. لم يستقر به الحال في مستشـفى بعد تعرضه لحادث سقوط بسيارته «البورش» مــن فوق طريق جبلي ثلجي، لكنه تمكــن أيضا من تحطيم زوجتيه. اســتطاع ليمان قبل ذلك الحادث أن يجمع بين زوجتين طوال تسـع ســنوات، حيث إنه حافظ على كيان أسرتين منفصلتين في منزلين منفصلين في طرفي نيويورك.

- زوجتــه الأولى ثيو فــي منتصف العمر، أنجب منها ابنته بيســي. عاشت أسرة فيلت فيما يزيد على عشرين عاما، استطاع ليمان من خلالها أن يحقق نجاحا منقطع النظير في مجال التأمين. تعيش ثيو هادئة في مانهاتن، تفي بمتطلبات عائلتها، وقلما تســأل زوجها عن تكرر بقائه بعيدا عن البيت.

- أمــا ليا فهي امرأة يهودية جميلة أصغر ســنا من الســيدة فيلت الأولى. أنجبت «بنيامين» ذا التســعة أعوام. إن آرثر ميللر الذي نال شــهرة واسعة بكلاســيكياته «وفاة بائع متجول»، و«البوتقة»، و«بعد الســقوط» قد استطاع هنا أن يخلق شــخصية بارزة وهي شخصية ليمان فيلت الذي على الرغم من كذبه وخداعه ســيظل الشــخص الذي نتعاطف معه.

- يمتلك ليمان جاذبية لا تقاوم بالنسبة لبعض النساء، لكنه لا يفتقر إلــى الأنانية التي تجعل رغباته واحتياجاته فــي المقام الأول، دون الأخذ فــي الاعتبار ارتبــاط الآخرين به، أو أن يضــع احتياجاتهم النفســية والعاطفية والحياتية في قائمة أولوياته. لكن نزوات ليمان - الذي تقدم به العمر- تأخذ أســبقية فوق كل شــيء. يُعافى ليمان من ذنب يؤرقه دوما وهو تدميره للأسرتين. يقول عن تعدد الزوجات

الـــذي يجب أن يدافع عنه: «كل ما يســتطيع المـــرء أن يفعله هو أن ينهـــي حياة ملؤهـــا الخيال» توبخ ثيو بصراخهـــا وخطواتها البارزة، فتوجه إهانة شديدة لرفضها امرأة أخرى، فتناضل كي تحافظ على ســخطها حتى تأتي لحظة تكون لا مفر منها. إن ذلك المشهد يتسم بالحزن.

- تزخر مســـرحية «الهبوط من جبل مورجان» بالخيال والســـريالية، فبينما ينام ليمان ممددا فوق فراش المستشـــفى، ينتقل إلى أماكن بعيـــدة وأزمنـــة ماضية، حقيقيـــة وخيالية. فتأتي ثيـــو وليا تضعان قناعين لغرابين لتنقرا في أمعائه. ثم تتنقلان على ركائز عملاقة.

- يندمـــج الجمهور مع الحبكة التي تتنقل من مشـــاهد كثيرة قصيرة ما بين الحلـــم والواقع من خلال زمن حاضـــر وزمن ماض. الحوار طريـــف وحاد. يقول ليمان في أحد المواقف: «كل امرأة جديدة هي شـــاطئ غير مُكتشـــف» أما ثيو فتجعلنا نتذوق بشكل عملي طعامها البروتســـتانتي. ليمان فيلت هو وكيل تأمينـــي بالنهار ورجل مزواج بالليـــل، ويبرر زواجه باثنتين بأن كل واحـــدة منهما قد منحها حياة أفضل مما كانت عليه من ذي قبل.

- بعد أربعين عاما من معالجته لأزمة منتصف العمر في مســـرحية «وفـــاة بائـــع متجول» يكتـــب «الهبوط مـــن جبل مورجـــان» ليعالج شخصية رئيسية أكثر من معالجته لعائلة. وليمان فيلت على العكس من شـــخصية ويلي لومان فهو ناجح، يقتنـــص الفرص، لم يُهزم في مجال العمل، ولم يفقد الثقة، لكننا أمام شـــخصية غارقة في ذاتها، يســـتمد ليمان نكهة الحياة من نرجسيته وعاطفته النهمة التي تهدد كيان حياته، فمســـرحية «الهبوط من جبل مورجان» تثير تســـاؤلات بشأن الحب والزواج.

- قدمت المسرحية لأول مرة في لندن أكتوبر عام ١٩٩١ على مسرح ويندهام وقام بدور ليمان فيلت الممثل (توم كونتي)، وقامت بدور ثيو (جيما جونز)، وكلير هيجنز بدور (ليا) وأخرجها مايكل بلاكمور،وقام بإنتاجها روبرت فوكس وعرضت لأول مرة في الولايات المتحدة في مهرجان وليامستون المسرحي عام ١٩٩٦.

- من أهم أعماله مسرحية «الرجل المحظوظ» ١٩٤٤، ورواية «التركيز» ١٩٤٥،ومسرحية «كلهم أبنائي» ١٩٤٧ وحصلت على جائزة نقاد الدراما. ومسرحية «وفاة بائع متجول» ١٩٤٩حصلت على جائزة بوليتزر وجائزة توني وجائزة نقاد الدراما، و«عدو الشعب» ١٩٥١، و«البوتقة» ١٩٥٣، و«مشهد من الجسر» ١٩٥٧، وقصة «المختلون» ١٩٦١، ومسرحية «بعد السقوط» ١٩٦٤ و«حادثة في فيشي» ١٩٦٥، و«الثمن» ١٩٦٨، و «الساعة الأمريكية» و«النسخة الأخيرة» ١٩٨١و«رثاء سيدة» ١٩٨٢، ومسرحية «الزجاج المكسور» ١٩٩٤.

- إن أعمال ميللر المسرحية أضافت الكثير ليس للمسرح الأمريكي فحسب وإنما للمسرح العالمي على حد سواء، فموضوعاتها اكتسبت عالميتها منذ كتابتها، ونالت الشهرة بتقديمها على جميع مسارح العالم، وأكمل ميللر مع يوجين أونيل وتنيسي وليامز أضلاع مثلث عباقرة المسرح الأمريكي الحديث.

عبد السلام إبراهيم

الأقصر ١٨أبريل ٢٠١٥

الشخصيات

ليمان فيلت

ثيو فيلت

ليا فيلت

بيسي

الأب

الممرضة لوجان

توم ويلسون

ملحوظة إخراجية

على الرغم من اتجاهات خشـــبة المسرح الحديثة فإن المسرحية يمكن أن تُقدم على مســـرح مكشـــوف، المشـــاهد يفصلها الضوء وتوزيع وترتيب الأثاث والملابس.

تنتقل المســـرحية ما بين الهزل والمأساوي ولا بد أن تقدم بشكل كامل، كما يتطلب الموقف بدون محاولة التخفيف من الإفراط فيهما.



الفصل الأول

(سرير في مستشفى يرقد عليه ليمان فيلت. هو رجل في الخمسينيات، لكن قسماته تجعل من الصعب التنبؤ بعمره الحقيقي. ساقه وذراعه موضوعان في جبيرة العظام الآن، وهو غارق في سبات عميق. الممرضة لوجان امرأة زنجية تجلس بالقرب من فراشه، تتصفح مجلة تحت ضوء المصباح).

ليمان : (ما زالت عيناه مغمضتين) : شكرا، شكرا جزيلا لكمْ جميعا.

تفضلوا بالجلوس. (تستدير الممرضة، تنظر إليه.) لدينا موضوعات كثيرة ... ليست موضوعات ... نعم، موضوعات ... سنناقشها هذا المساء، لذا خذوا أماكنكم وليضع كل منكم ساقا فوق ساق. لا - لا ... (يضحك بوهن) ... لا يضع أحدكم ساقا فوق ساق، اجلسوا فحسب ...

الممرضة : هذا يؤثر على الجراحة بشكل كبير يا سيد فيلت. من المفروض أن تنعم بالراحة ... وإلا سيُغمى عليك؟

ليمان : (نائم لبرهة، يغط، ثم ...): اليوم أريدكم أن تناقشوا التأمين على الحياة من منظور مختلف. أحتاج منكم أن تنظروا إلى النظام الاقتصادي كله كنهد واحد ضخم.

الممرضة : حسنا، الآن! (تضحك ضحكة مرتبكة)

ليمان	:	هكذا فإن مسؤولية الفرد هي أن يتخذ مكانا مناسبا في الصف ليأخذ رضعته التي تعطينا بالمصادفة كلمة «النجاح»[1] أو ... أو لا. (يغط بعمق)
الممرضة	:	احتفظ برأيك هذا فسننظر فيه مرة أخرى ... (تعود لتصفح الأوراق) (يدخل الأب، يرتدي قبعة من نوع بنما، يمسك عصا، يدخن سيجارة، يجر قطعة قماش سوداء عريضة خلفه. يقترب ويميل على ليمان كما لو كان سيقبله ...)
		(يشد ليمان أعصابه، يطلق صرخة ممزوجة بالخوف ودهشة متفائلة، ما تزال عيناه مغمضتين.)
		(يعتدل الأب في وقفته، ويهز رأسه في أسى.)
الأب	:	سينعكس هذا على العمل بشكل سيئ. (يئن ليمان مُطمئِنا) ما حاجتك إلى التزلج، هكذا وقعت وضحكن عليك. لا تناقش أمور العمل مع النساء.
		فقد خلقهن الله لحكمة واحدة، أطع الله. أسنانك بارزة، أذناك بارزتان، كل شيء بارز، آسف لقولي إنك فتى غبي جدا، أنت خيبة أمل قوية.
		(يهز رأسه ويتحرك نحو الظلام.) سينعكس هذا على العمل بشكل سيئ.
ليمان	:	أعدك يا أبي! (ينادي) أعدك! (يفتح عينيه، ويرى الممرضة).

(١) كلمة نجاح success وكلمة suck تلاعب لفظي لتوصيل فكرته عن النجاح. (المترجم)

أيتها السوداء؟

الممرضة : هذا ما ينادونني به.

ليمان : أنتِ، آه ... يا ممرضة؟

الممرضة : ممرضة معتمدة ؟ نعم.

ليمان : أتيــت لكم بالخير. أعددت لكم برنامجا تدريبيا أيها الشــباب، أكبر برنامج في هــذا القطاع، والأول من نوعه الذي سيضعكم في صدارة المبيعات. لا توجد انتخابات الآن، صحيح؟ أيزنهاور[1] أو غيره؟

الممرضة : أيزنهــاور! رحل منذ زمن بعيد، زمن بعيد. ونحن في شهر ديسمبر.

ليمان : أوه، لأنك تتحدثين مــع الغرباء في وقت الانتخابات ... لماذا لا أتحرك، ألا تخبرينني؟

الممرضة : كُســرت بعــض من عظامــك. يقولون إنــك هبطت متزلجا من جبل مورجان في سيارة بورش؟

(تضحك. ينظر شزرا ويحاول أن يُوجه نفسه.)

ليمان : ما تلك الموسيقى؟ تبدو كأنها موسيقى إيرل هاينز[2].

الممرضة : موسيقى؟ لا توجد موسيقى.

---

(١) دوايت ديفيز أيزنهاور، سياسي وعسكري أمريكي والرئيس رقم ٣٤ للولايات المتحدة الأمريكية ، تولى الحكم من ١٩٥٣ إلى ١٩٦١. (المترجم)

(٢) إيرل كينيث هاينز المعروف عالميا باسم إيرل هاينز ١٩٠٣-١٩٨٣، عازف أمريكي لموسيقى الجاز والبيانو، وكان أحد الشخصيات الأكثر تأثيرا في تطوير بيانو الجاز. (المترجم)

ليمان : (يغنــي) : «أتنفس مــع هبوب النســيم ...» أنصتي لذلك، ستنصتين؟

... كان ذلــك جميــلا؟ (يصفر باللحــن لبرهة، ثم ينــام بعمق مــرة أخرى. يفيق.) أطلــق عليَّ جيمي بولدوين ذات مرة أنني مــن أصل زنجي. (يضحك) هذا شــرف. عندما كنت كاتبــا أحببت قصتين من قصصي، كان ذلــك منذ زمن طويل. (وقفة قصيرة) اعتادت زوجتي أن تتزلج مثل الميثوديين[1]- بالضبط ...اعتادت أن تقول إنهــا تتزلج مثل الإصلاحيين - كانت ملابسها تسقط منها. لا توجد كراسي هوائية تلــك الأيام كما تعرفين - فعليك أن تتســلقي الجبل على زلاجاتك .فعظامك مرنة، تتزلج النســاء بشكل أيســر لأنهن يفتحن أرجلهن بشــكل أوسع. احصلي على الإثارة وشاهديهن وهن يتسلقن. ما قولك؟

المرضة : لا أعرف.

ليمان : آه. وأين أنا الآن.

المرضة : في مستشفى كليرهافن التذكاري.

ليمان : (يقولها ببطء) : كليرهافن؟

المرضة : ابنتك وزوجتك وصلتا لتوهما من نيويورك.

ليمان : (يحاول أن يكون حذرا، لكنه لايزال مرتبكا) : ... من نيويورك؟

---

(١) الميثودية أو المنهاجية هي طائفة مسيحية بروتستانتية ظهرت في القرن الثامن عشر في المملكة المتحدة على يد جون ويزلي وانتشرت من خلال الأنشطة التبشيرية في المستعمرات البريطانية حتى الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت موجهة للعمال والفلاحين والعبيد. (المترجم)



ما شكلها، كم عمرها؟

المرضة : في الخمسينيات، تقريبا.

ليمان : (يتسلل إليه القلق) : من اتصل بهما؟

المرضة : ماذا تقصد؟ ولم لا؟

ليمان : وأين يكون هذا المستشفى؟

المرضة : كليرهافن - أنا نفسـي من كنـدا، بدأت عملي هنا. لاتزال السكك الحديد تعمل في كندا.

ليمان : اسمعي ... لا أشعر بتحسن. ما الذي يدعونا للتحدث عن سكك حديد كندا؟

المرضة : لا، ذكرتها الآن بسبب وجود عاصفة.

ليمان : الآن مـاذا ... ماذا ... وماذا عن زوجتي التي وصلت لتو من نيويورك؟

المرضة : هي موجودة في غرفة الانتظار. وابنتك معها.

ليمان : (يحدق بشدة) : وأين تكون غرفة الانتظار تلك؟

المرضة : قلت لك، كليرهافن التذكاري.

ليمان : (ينظر حوله بقلق) لديك مرآة؟

المرضة : مـرآة؟ بالتأكيد. (تخرج مـرآة من محفظتها، تخطو نحوه.)

أستطيع أن أخبرك الآن بأنك لا تبدو بصحة جيدة.

ليمان : (ينظر إلى نفسه، يلمس الضمادة في دهشة) : هل



تستطيعين ...

أن تلمسيني؟

(تضع إصبعا على خده. يخفض المرآة، ينظر إليها، فجأة ينتابه الغضب.) من بحق الله القاسي الذي اتصل بهما؟

الممرضة : أنا ممرضة جديدة هنا! أنا آسفة لو وجدتني غير قانعة. (تعود لكرسيها دون أن ينتابها قلق.)

ليمان : (قلق للغاية) : من قال إنك غير قانعة؟ ما كل هذا الهراء ...

إسهاب؟ لا تسهبي، .... ، أقصد ... (يلهث)

: أنصتي، أنا لا أستطيع أن أرى أي إنسان مطلقا، ولا بد أن ترجعا إلى نيويورك في الحال.

الممرضة : لكن طالما أنت مستيقظ ...

ليمان : الآن؟ أخرجيهما من هنا، مفهوم؟ (وخزة ألم) آه!

انصتي ... لا يوجد أي شخص آخر، شخص آخر؟ أتى ليراني؟

الممرضة : لم أر أي شخص آخر.

ليمان : من فضلك، اذهبي، لا أستطيع أن أرى أي شخص!

(تحتار، تخرج.)

ليمان : يا إلهي، كيف فعلت ذلـــك! يا إلهي، كان من الممكن أن أراهما وحســـب! ... آه كم هذا فظيع، لا يمكن أن يحدث هذا، لا يجب أن يحدث!

(ينزع نفســـه من جبيرة العظـــام، يتحرك للأمام، ما يزال في رداء المستشفى، لكنه غير مضمد. الجبيرة لا تزال فارغة على الفراش كما كانت. عيناه متسعتان وهو يحدق في منظره الكارثي...)

آه، أرى ذلـــك الآن ... بيســـي تبكي، آه يـــا حبيبتي المســـكينة! لكن ثيـــو لا تبكي... لا، ثيو متماســـكة تماما، نعم... متماسكة وقوية...

(وهو يتكلم تتحرك الأسِّرة خلفه بعيدا عنه، والكرسي ذو الأغصان المغطى بالرداء القطني والأريكة، وأثاث غرفة انتظار المستشـــفى تنتقـــل للداخل. الأضواء تتغيـــر وتزداد إشـــراقا وتألقا نغمـــة عالية مبهجة. زوجته ثيودورا وابنته بيسي تجلسان على الأريكة.)

لا - لا، لا يجب أن يحدث ...!

(يبدو متوترا للغاية، لكن بما أنه غير مرئي للآخرين فيمكنه أن يتحرك نحوهمـــا، وأن يجلس بجوارهما، إلخ.)

(المعطف الفـــرو الخاص بثيودورا بجوارها، معطف بيسي القماشي في حجرها.

ترتشـــف ثيودورا من فنجان شاي. هي امرأة مثالية

ومثقفة تتسم بالقوة العقلية والحيوية والنشاط الذهني، تشارف الستين الآن، إذا جابهت شيئا أخرق وقاسيا فبنيانها قوي.)

(بعد برهة تجتاح بيسي نوبة بكاء فتغطي وجهها. تقبض ثيودورا على يدها.)

ثيو : حبيبتي، لابد أن تتماسكي.

بيسي : لا أستطيع.

ثيو : بالطبع تستطيعين. تذكري كل الذكريات السعيدة، تذكري ضحكاته، أبوك يحب الحياة، سيناضل من أجلها.

ليمان : (ينظر بإعجاب شديد) : يا إلهي، يا لها من امرأة!

بيسي : ... أحسب أنني لم أمر قط بذكرى غير طيبة.

ليمان : آه، يا عزيزتي بيسي!

ثيو : لكنك سترين عندما تكبرين حقيقة أن كل الأمور ستوضع في نصابها في النهاية ... وبشكل أفضل.

ليمان : (بمزيج من الحب والتعاطف تجاه سذاجتها) : آه، ارحمها يا إلهي، يا لها من أمريكية!

ثيو : اهدأي الآن يا بيسي. تذكري كم من وقت جميل قضيناه في أفريقيا؟ تذكري أفريقيا.

بيسي : كم أنك امرأة مدهشة يا أمي.

(الممرضة لوجان تدخل)

الممرضة : لـــن يتمكن من اســـتقبال أي شـــخص إلا بعد مرور وقـــت ما. يوجد فندق صغير على الطريق الســـريع، إنه موسم التزلج، لكن زوجي يمكن أن يساعدكما في الإقامة فيه، فهو يقيم فيه بشكل دائم.

بيسي : هل تعرفين إذا كان قد اجتاز مرحلة الخطر؟

الممرضة : أظن كذلك، لكنني على يقين أن الأطباء سيخبرونكما. (مـــن الواضح أنها تغير الموضـــوع) لا أصدق أنكما تمكنتمـــا مـــن القدوم مـــن نيويورك في هـــذا الجو الثلجي.

ثيو : على المرء أن يفعل مـــا هو مفروض عليه أن يفعله. أظن أننـــي أود أن أتمـــدد، هل يمكنـــك أن تتصلي بالفندق؟ كان الطريق فظيعا..

الممرضة : يراودني الشـــعور أحيانا بأنني أريد العودة إلى كندا، فعلى الأقل لدينا سكك حديد.

ثيو : ســـيكون لدينا ســـكك حديد مرة أخرى، تســـتغرق المشـــروعات وقتا في هـــذا البلد لكن فـــي النهاية تُنجز.

(تخرج الممرضة)

ثيو : (تستدير لبيسي التي تبتسم بألم) ما المضحك؟

بيسي : (تلمس يد أمها) لا شيء ...

ثيو : حسنا، ما الأمر؟

بيسي : حسنا، أقصد ... إن الأشياء في الحقيقة لا تحدث دوما في هذا البلد.

ثيو : (تسحب يدها، تتألم) : أظن أنها تنجز في النهاية. عشت خلال تغييرات الثلاثين عاما الماضية التي لا تُصدق. (لديها ميل للضحك)

أنا حقيقة لست بهذه السذاجة يا بيسي.

بيسي : (بغضب) : حسنا، لا تغضبي، لا يهم، (وقفة، لتعالج الموقف) ... الناس الذين يعيشون هنا طيبون، أليسوا كذلك؟

ثيو : آه، نعم. كان الحزن ينتابني غالبا لأنك لم تعيشي في بلدة صغيرة، ففيها الخير كله.

بيسي : تُرى ماذا يحدث لو هاتفتنا جدتي إيستر.

ثيو : كما تحبين. (وقفة قصيرة) سينتابها قلق شديد، تلك هي المسألة.

بيسي : حسنا لن أهاتفها إذا كان ذلك يغضبك.

ثيو : آه، لا، لم أعد أغضب منها، ببساطة لا أروق لها وأعرف ذلك تماما. لكنها تحبك.

بيسي : أعرف أنها امرأة تفكيرها سطحي، لكنها تتمتع بروح الفكاهة و...

ثيو : تتمتع بروح الفكاهة، نعم.

بيسي : أنا لا أفهم أبدا السبب في أنك تشعري بأنها باردة.

ثيو : لا أحب النساء اللاتي يضللن أبناءهن.

ليمان : (بسخرية) : حقا!

ثيو : المعجزة أنها لم تجعله شاذا.

ليمان : عظيم!

ثيو : كنت أعتقد أن السبب هو أنه لم يتزوج بيهودية ...

بيسي : لكنها لم تكن السبب أيضا.

ثيو : نعم، ولكن لا يهم ما نفعله أو نقوم به . لكنها كانت ستكره أي امرأة يتزوجها، اذهبي، هاتفيها، فهي أمه وهي تحبك.

(تدخل ليا. هي في الثلاثين تقريبا، شقراء، ترتدي معطف راكون مفتوحا، وكعبا عاليا. تدخل الممرضة معها.)

ليمان : (في لحظة دخولها، يبهت، يضرب بيديه فوق عينيه): لا، ما كان يجب عليها أن! مستحيل! ما كان يجب أن يحدث هذا! (غير قادر على الاحتمال، فيهِّم بالهروب، لكنه يتوقف عندما ...)

ليا : بعد كل الأموال التي أنفقناها في هذا المستشفى، يبدو لي أنني يجب أن أتحدث مع رئيسة طاقم التمريض!

الممرضة : أبذل قصارى جهدي لآتي بها إليكِ ...!

ليا : إذن سأنتظر هنا. (تهم الممرضة بالخروج.) يا عزيزتي أنا أريد القليل من المعلومات فحسب!

(تخرج الممرضة. وقفة. تجلس ليا، لكنها تقف سريعا وتتحرك بشكل قلق. ثيو وبيسي تلحظانها بشكل غير مباشـــر، بفضول مؤدب. الآن تلتقي أعينهن. تشـــيح بكلتا يديها.)

مثلمـــا حدث عندما وضعت مولـــودي هنا، كُن كأنك تقتلعين أسنانا ليأتين ويخبرونني بأنه ولد أو بنت.

بيسي : هل هي حالة طوارئ؟

ليا : زوجي، وقع له حادث ســـيارة من فوق جبل مورجان. وأنتما؟

بيسي : أبي، حادث سيارة أيضا.

ليمان : آه، يا إلهي، ليس بهذه الطريقة ... يا ربي؟

ثيو : أصبحت الطرق خطيرة.

ليا : إنـــه طريق جبل مورجان اللعين، حدثت هناك الكثير من الحـــوادث المميتة فـــي العاميـــن الأخيرين ... مازلـــت لا أصدق، الرجل يقود ســـيارته فوق الجليد ... بـــل وحتى أثناء الليل! وهذا أمر لا يمكن فهمه أو إدراكه ! (بثورة مفاجئة) عليهم.

اللعنة، من حقي أن أعرف ما يحدث ! (تخرج.)

بيسي : أمر مريع.

ثيو : لكنها تعرف كم أن تلك الطرق مزدحمة ...

(الصمت يسود، تميل ثيو للوراء، تغمض عينيها. نوبة

بكاء أخرى تجتاح بيسي لكنها تكبتها، تغمض عينيها. ثم تنهار فجأة وتبكي.)

آه، عزيزتي بيسي، حاولي مجرد ألا ...

ليمان : (يحدق أمامه) لو أستطيع أن أصل إلى النافذة ... وأقفز!

بيسي : (تهز رأسها بيأس) ... أنا أحبه جدا!

(تعود ليا، أكثر هدوءا الآن. تجلس متعبة. تغمض عينيها.

وقفة. تنهض، تذهب إلى النافذة، تطل منها.)

ليا : انظري إلى القمر؟ كل الناس تصاب في حوادث بالليل ويمكنك أن تقرأي خبرا عنها في الصحف الإلكترونية في الحال.

بيسي : تعيشين بالقرب من هنا؟

ليا : ليس بعيدا. نعيش عند البحيرة.

بيسي : يبدو أنها بلدة جميلة.

ليا : آه، نعم. لكنني سأنتقل إلى نيويورك في أي وقت. (تتابعها نوبة بكاء.) أنا آسفة. (تبكي بأسى في منديلها.) تتأثر بيسي وتجهش هي الأخرى بالبكاء أيضا.)

ثيو : إنه الآن أمر حقيقي وواقعي ...!.(تهز ذراع

بيسي.) كفاك! (ترى نظرة ليا الساخطة.) أنت لم تفهمي خطورة الأمر، صحيخ؟ لماذا أنت تبكين هكذا؟

ليا : (دون رغبة) ربما تكونين محقة.

ثيو : (متهللة - لبيسي أيضا) بالطبع أقصد أن هناك دائما وقتا للإصابة باليأس، لماذا يجب ...؟

ليا : (بحدة) قلت إنك كنت محقة، أتفق معك! (تتماسك ثيو وتشيح بوجهها.)

أنا آسفة.

(وقفة قصيرة، عندما يتحدث ليمان لنفسه. تتوقف النساء عن الحركة.)

ليمان : يا لهن من نساء جديرات بالإعجاب! يتمتعن بشخصيات قوية وحازمة. لحسن الحظ أنا لست موجودا هنا، وهذا لا يحدث حقا، لكن لو حدث ذلك، فأنا على يقين أن حالهن سيكون كذلك. (يفكر) الآن ماذا سيقلن بعد ذلك؟

بيسي : أنت تربين حيوانات حيثما تسكنين؟

ليا : نحن نربي الكثير مما نأكل. لدينا ستون رأسا من الماشية. وسنربي جيادا أصيلة، بشكل محدود.

بيسي : آه، يعجبني ذلك ...

ليا : أنا أحسدكما على هدوئكما، أنتما الاثنتان. حقيقة،



جعلتماني أشعر بتحسـن. في أي شارع تعيشان في نيويورك؟

بيسي : شرقا، شارع أربعة وسبعون.

ليمان : (يمسك رأسه) آه، لا! لا، لا ...!

ليا : أربعه وسـبعون، حقيقي؟ نحن نقيم غالبا في فندق كارلايل ...

بيبسي : آه، إنه قريب جدا.

ثيو : تبدين كأنك من سكان نيويورك.

ليا : التحقت بمدرسـة نيويـورك التجاريـة لمدة ثلاث سـنوات، أحـب تلك المدينـة بحق، لكنني نشـأت هنـا في أليميرا وعملي هنـا، لذا ... (تظهر علامة اللامبالاة. تذهب إلى النافذة مرة أخرى.)

ثيو : في أى مجال تعملين؟

ليا : التأمين.

ليمان : لا! هذا كاف، توقفن!

بيسي : آه، ذلك مجال عمل أبي!

ليمان : (يشـبك يديه، يرفع وجهه للسـماء) آه، لا تُقدِر، لا تُقدِر ذلك!

ليا : حسنا، عددنا مليون. أنت تعملين به أيضا؟

بيسي : لا، أنـا فى البيت (إشـارة أنها لا تعمـل وأنها ربة منزل) ... أهتم بأمور زوجي.

ليا : أتمنى أن أبيع حصتي، ففي خلال ثلاث أو أربع سنوات سأحصل على إقامة في نيويورك وأقوم بالرسم من الصباح إلى المساء ما تبقى من عمري.

بيسي : حقيقي؟ زوجي رسام.

ليا : بشكل احترافي أم ...؟

بيسي : آه، نعم. إنه هارولد لامب.

ليمان : لا! يا إلهي! (يندفع ممسكا برأسه)

ليا : هارولد لامب؟

(ليمان يعود، غير قادر على أن يشهد ذلك المشهد. توقفت ليا عن كل الحركات، تحدق في بيسي. الآن تستدير لتحدق في ثيودورا.)

ثيو : ما الأمر؟

ليا : جد زوجك هارولد لامب؟

بيسي : (مسرورة جدا ومعتزة بنفسها) هل سمعتي عنه؟

ليا : (لثيو) أنت لست السيدة فيلت، صح؟

ثيو : لماذا؟ نعم.

ليا : (نظرتها مشوشة) إذن أنت ... (تتوقف عن الكلام، ثم تستطرد) أنت لم تأت إلى هنا لرؤية ليمان، صح؟

بيسي : هل تعرفين أبي؟

ليا	:	لكــن ... (تتنقل بنظراتها مــن واحدة لأخرى) كيف يصل بهم الحد لإبلاغك؟
ثيو	:	(لا تفهم، لكنها تبدأ في قبول الإهانة) : ما هذا؟
ليا	:	حسنا ... بعد سنوات طويلة.
ثيو	:	ماذا تقصدين؟
ليا	:	لكنه مر أكثر من تسع سنوات ...
بيسي	:	ماذا؟
ليا	:	طلاقك. (تصيب الدهشــة ثيو وبيســي فتلجمهما. صمت.) أنت ثيودورا فيلت، صح؟
ثيو	:	من أنتِ؟
ليا	:	أنا ليا. ليا فيلت.
ثيو	:	(بغطرسة) فيلت!
ليا	:	ليمان زوجي.
ثيو	:	من أنتِ؟ عم تتكلمين!
بيسي	:	(ينتابها الفضول بشأن ليا بشكل حاد، تنظر بغضب إلى ثيو) حسنا، بحق السماء لا تغضبي!
ثيو	:	عليكي بالهدوء والسكينة!
ليا	:	(ترى أصالة ثيو) حسنا، أنت مطلقة، صح؟
ثيو	:	مطلقة! – من أنتِ!
ليا	:	أنا زوجة ليمان.

(تفهم ثيو أنها امرأة جادة، فيلجم ذلك لسانها.)

بيسي : متى ... متى تـ ...؟ أقصد ...

ثيو : (بحركة مجددا) إنها مجنونة! إنها غبية!

ليا : (لبيسـي) في سبتمبر سيكون قد مر على ذلك تسع سنوات.

ثيو : حقيقي، ومن قام بذلك ... ذلك الفعل؟

ليا : موظف مجلس مدينة إلميرا، وكاهن في اليوم التالي. اسم ابني بنيامين، على اسم والد جدته، وألكسندر على اسم والد ليمان، بنيامين ألكسندر فيلت.

ثيو : (بمحاولة واهنة لتتحمل السخرية) حقيقي!

ليا : نعم. أنا آسفة جدا إذا كنتي لم تعرفي.

ثيو : لم أعرف ماذا؟ عم تتحدثين؟

ليا : تزوجنا منذ أكثر من تسع سنوات يا سيدة فيلت.

ثيو : تزوجتما! وأفترض أن لديك وثيقة (وثيقة زواج) ...؟

ليا : لدي وثيقة الزواج، أظن ...

ثيو : تظنين!

ليا : (بغضب) حسنا، أنا على يقين من ذلك! ولدي وصية ليمان في صندوق الودائع الخاص بنا ...

ثيو : (تسخر بيأس) مودع باسمك بصفتك زوجته!



ليا : وابنه بنيامين.

(ثيو ترنحت من سردها للوقائع.)

... لكنني أظن أنك تمتلكين أكثر من ذلك أو على الأقل مثله ... هل كلامي صحيح؟

(ثيو لا تزال جامدة.)

لم يحدث طلاق حقيقي؟

بيسي : (بنظرة لأمها المصدومة، بنعومة، بطريقة تحمل في طياتها اعتذارا) ... لا.

ليا : حسنا، أظن أننا من الأفضل أن ... نتقابل، أو نفعل شيئا يا سيدة فيلت؟ أفهم مشاعرك، لكنني أظن أنه سيتحتم عليك أن تصدقي ذلك، فلدينا مشكلة شائكة يا سيدة فيلت؟

ثيو : مستحيل، منذ تسع سنوات... (لـ بيسي) حدث عندما ذهبنا جميعا إلى أفريقيا.

بيسي : آه، حقا! في رحلة الصيد!

ثيو : (لـ ليا، بضحكة المنتصر لو أنها أقرب إلى ضحكة المخبول) لم نكن قط متقاربين في حياتنا! سافرنا إلى كينيا ونيجيريا ... (كما لو أن ذلك سيحسم كل شيء) ... حتى أننا سافرنا إلى مصر!

(تدخل الممرضة. فينتبهن على الفور. تنظر إلى كل

واحدة منهن.)

الممرضة : الطبيب لوري يود أن يقابل السيدة فيلت الآن.

(للحظــة لا تتحــرك أي منهما، ثم كل مــن ثيو وليا تنهضان معا.

تحقــق ادعاءات ليا تزيــد ثيو قــوة، فيرغمها على الاندفاع بشكل حازم تجاه الممرضة، فتتمايل وتكاد أن تقع على الأرض.

ليا : امسكيها!

بيسي : أمي! (الممرضة وبيسي تمســكان ثيو، ثم تريحانها على الأرض.

تصبح ليــا عصبية خلال هذا الانهيــار، تندفع في المحيط، تصرخ...)

ليا : أغيثونا، امرأة أغمي عليها! أين الطبيب، اللعنة!

(إظلام)



(أريكة ومقعد، تجلس ليا في مواجهة توم ويلسون، محام في منتصف العمر، لكنه متمكن جدا يقرأ وصية، ويرشف من فنجان قهوة. تنهض بعد برهة وتتحرك إلى مكان ما وتحدق، عيناها مليئتان بالخوف. ثم تتصل بالهاتف، تستدير نحوه.)

ليا : آسفه لأنني لا أعرف أن أقوم بدور المضيفة. بالتأكيد لا تحب الخبز المحمص؟

توم : (منهمك) شكرا. أنا على وشك الانتهاء.

ليا : (تتصل) يا إلهي، أنا خائفة، ابني سيعود إلى البيت من المدرسة في أي لحظة ... (في الهاتف) حوليني بأخي يا تينا ... ألو؟

لا أعرف، لن يسمحوا لي بأن أراه بعد. ما رأي رئيس شركة المطاط؟ ماذا؟ حسنا، أطلب مكتب لوس أنجلوس فورا! أريد التأمين على تلك الشركة! لكننا ناقشنا كل ذلك أمس! تعب السفر بالطائرة لايدوم طويلا هكذا.

(تغلق الخط.) لا أعرف ما هذا، لا فائدة من الاستمرار من يوم إلى يوم أكثر من ذلك. (توم يغلق الملف.) أعرف أنك محاميها، لكنني في الواقع لا أطلب النصيحة،

أم ماذا؟

توم : بوســـعي أن أناقش ذلك، (يعود إلى ملفه.) الوصية تشمل الصبي بصفته ابنه، لكنها لا تشملك بصفتك زوجته.

ليا : (تمســـك الملف) لكـــن هذا الملف يشـــير إلى أنني زوجته ...

توم : غير مجدٍ، هو لم يطلق أبدا. على أي حال... (يتوقف، يضغط على عينيه.) أنا مندهش، لا أستطيع استيعاب ذلك.

ليا : مازلت أرقص على الحبل.

توم : عم كنت ستتســـألينني؟ آه، نعم، تنص على أن زوجته الشـــرعية تحصل علـــى الأقل ثلث الميـــراث الذي ســـيتركه لك. لذا أهتم بك أشـــد الاهتمام. (يتنهد. يميل للأمام ممســـكا رأســـه.) تقوليـــن إنه حقيقة يطير بالطائرة؟

ليا : آه، نعم، الطائرات المحلقة عاليا جدا. لدينا واحدة.

توم : لعلمك لم يكن يسافر بالطائرة إلا للضرورة القصوى منذ سنوات طويلة.

ليا : آه. إنه رائع في الجو. (وقفة) لا أشـــعر بنفســـي. أنا ببساطة ...

لا أشعر بنفسي على متن الطائرة. أمجنون هو؟

توم : ... هل تسمحين بسؤال...؟



ليا : من فضلك اسأل ... على فكرة، هل تعرفه منذ وقت طويل؟

توم : ستة عشر أو سبعة عشر عاما ... عندما قررتما الزواج، افترضت أنه أخبرك أنه حصل على الطلاق ...

ليا : بالطبع. ذهبنا إلى رينو معا.

توم : لا مزاح! وماذا حدث؟

ليا : يا إلهي، نسيت كل شيء عن ذلك ... (تتوقف.) كم كنت غبية!

أرأيت، كان شهر يوليو ودرجة الحرارة في الشارع كانت مرتفعة للغاية لذا تركني في الفندق مع الطفل، بينما ذهب للمحكمة ليحضر وثيقة الطلاق الخاصة به ... (تصمت.)

توم : نعم؟

ليا : (تهز رأسها) غير معقول ... انتابني الفضول لأرى ما شكل الوثيقة..

(يدخل ليمان، يرتدي قميصا صيفيا ذا أكمام قصيرة.)

ولكني ومن غير سبب معين ، لم أر قط وثيقة

ليمان : رميتها.

ليا : (ضحكة مباغتة) لماذا!

ليمان : لا أريـد أن أنظر ورائي. حبيبتي أشـعر بأن عمري خمسة وعشرون عاما! (يضحك) تبدين مندهشة!

ليا : (تقبلـه بخفـة) لـم أصدق أبـدا أنك سـتفعلها يا حبيبي.

ليمان : أعرف. إنها معجزة. (يسحبها نحوه، توم يبعد قليلا.)

أشـعر كأنني صخرة في نهر وأنـت تعومين حولي. لدي سـيارة بسائقها في الشـارع، هيا بنا إلى حفل زفافك يا حبيبتي ليا!

ليا : لكن هل أقول لك قَسَـم الزفاف الذي أتمنى أن نفي به؟ سيبدو كلامي غريبا، لكن ...

ليمان : لا! قوليه!

ليا : أنـا محرجة لكنني سـأقوله : «عزيـزي المحبوب، أعدك بكل شـيء طيـب، لكن ربمـا يتحتم علي أن أكذب عليـك أحيانا». هل يمكن لشـخص أن يقول ذلك ولايزال يحبه؟ لأنها الحقيقة... لا أحد يعلم ما يمكن أن يحدث، صح؟

ليمان : (وقفة قصيرة تغلفها الدهشـة.) لماذا تقولين ذلك؟ نعم، إنها الحقيقة، وأحبك بسـبب ذلك! (يقبلها، ثم يبدو عليه الذهول .)

ليا : تبدو متأثرا، هل أنت نادم على طلاقها؟

ليمان : أنا ... خائف قليلا، هكذا أمري، لكنه شيء طبيعي. ماذا أقول لك.



سأتعلم الطيران ...

ليا : لكنك تكره الطيران!

ليمان : (يرفعها عاليا) نعم. لكن لم يعد هناك خوف من أي نوع!

(يخرج ليمان دون أن يخفض ذراعه. تستدير لتوم.)

ليا : ... كانت حياة كلها أكاذيب! بأي حال تكون ممكنة! لماذا فعل ذلك؟

ماذا أراد؟

توم : في الحقيقة ... (يحاول أن يتذكر) ... تعرفين ... أظن أننا ناقشنا موضوع الطلاق ...

ليا : ناقشته؟ متى؟

توم : منذ تسع سنوات ... على الرغم من أنني في ذلك الوقت لم آخذ الأمر بتلك الجدية .اقتحم مكتبي فجأة ذات يوم بذلك «البحث» الذي قال إنه انتهى منه ...

(يدخل ليمان وهو يرتدي بدلة عمل.)

ليمان : ...كنت أدرس موضوع تعدد الزوجات يا توم.

توم : (يضحك، يندهش) تعدد زوجات! عم تتحدث؟

ليمان : قرأت مقالا منشـــورا في صحيفة منذ أسابيع قليلة، ملخصـــه تعدد الزوجات في الولايات المتحدة وصل إلى عدد هائل اليوم.

توم : آه، لكن ما القصد ...؟

ليمان : كنت أتســـاءل، ماذا عن تأمين تعـــدد الزوجات؟ هل يمكننا أن نسميه مشروع مكافحة التصحُر.

توم : (يضحك) اسم عظيم لوثيقة تأمين ... لكنك تمزح.

ليمان : أنـــا جاد. يمكننـــا أن نخفض قيمة الأقســـاط، مثلا بضعة سنتات في الأسبوع. كن عظيما، خصوصا مع القاصرات.

توم : قل لى الآن! (بإعجاب كبير) من أين أتيت بتلك الأفكار!

ليمان : لا أظن أنها أفكار، أنا فقط أحاول أن أضع نفســـي مكان الآخرين.

(يضحك، يستمتع بتكبره.) هذا ما جعلني أصل إلى ما أنا عليه الآن!

علـــى فكرة، كم مـــرة يحاكمون على تعـــدد الأزواج، ألديك فكرة؟

توم : لا، فهي جريمـــة تقع تحت طائلة القانون ولكنها تقع بموافقة المشتركين فيها مثل (الدعارة والقمار)

ليمان : إنه انطباعي أيضا. كلف شـــخصا ليبحث عن ذلك، هه، أريد أن أتيقن.

سأكون في أليميرا حتى يوم الجمعة. (يهم بالرحيل لكنه يتسكع.)

توم : لماذا أنت مكتئب؟

ليمان : قليلا، ربما. (تكشيرة إنكار الذات.) سأبلغ أربعة وخمسين عاما في شهر يوليو القادم.

توم : أظن أن الخمسين عمر ..... ، أكثر حزما وصلابة ونضجا.

ليمان : مات أبي في الثالثة والخمسين.

توم : حسنا، اجتزت أكثر مراحل الحياة صعوبة. على أي حال أنت أفضل حال من أي شخص عرفته.

ليمان : كلامك يخالف الواقع.

توم : هناك خطب ما يا ليمان؟

ليمان : (وقفة قصيرة، يقرر أن يفصح عما يختلج بصدره) كنت أتناول طعام الغداء اليوم في مطعم الفور سيزونز، وبينما كنت أهم بالوقوف فإذا بتلك المرأة ذات الفستان الجميل، والتي ترتسم على وجهها ابتسامة تميل فوقي قائلة : "أتمنى أن يباغتك الموت أيها السافل".

أنت تعرف قصدها.

توم : لا أصدق أن ذلك ما يزال يحدث.

ليمان : آه، ثلاث أو أربع مرات خلال عام، لا يقلن ذلك

فجأة، لكن معظم الناس ما يزالون يظنون أنني أبلغت عن شـــريكي لأنقذ نفسي من دخول السجن. والذي ربمـــا يكون قد قمت به، لكـــن لا أظن كذلك، أعتقد أن راؤول دفع ثمن الفترة التي كان فيها محتالا.

(يبتسم) لكن لم تتغير مشـــاعري تجاه ذلك السافل التافه. عشنا سنوات عظيمة بنينا فيها الشركة.

توم : حسنا، وقد عُظم شأنها.

ليمان : قمت بالشيء المناسب، إنه اتهام بالجبن ... (ينهار.) حسنا، اللعنة، عشت حياتي وأرفض أن أخجل منها! سأتحدث إليك لاحقا.

(يقف، لكنه يتردد في الرحيل.)

توم : هل هناك شيء آخر؟

ليمان : لا أظن أنني مستمتع بشكل كبير.

(وقفـــة. يقـــف ليمان بثبـــات، منضبط، ثـــم يواجه تحدياته، يستدير على نحو مفاجئ لتوم.)

أمرك مضحك يا توم، كنت قريبا جدا من بعض الرجال الآخريـــن، لكن لم أثق بأحد مثلـــك. (يقطب جبينه.) أظن أنك تعرف أنني خدعت ثيودورا، صحيح؟

توم : حســـنا، كانت تساورني الشكوك، نعم، منذ أن دخلت عليـــك مكتبك ووجدتـــك مائلا علـــى موظفة الآلة الكاتبة الباكستانية.

ليمان : (يضحك) «مائـــل»! أحب نغمة التدين الخاصة بك، والتي لم أسمعها منذ سنوات.

توم : عضو جمعية أصدقاء الصحاب [1].

ليمان : (بأســـلوب اعترافي هادئ.) لا أريد أن أســـتمر في هذا الطريق أكثر من ذلك. إنه أمر ســـخيف بالنسبة لعمري، لسبب واحد. (بصعوبة.)

أظن أنني وقعت في الغرام.

توم : آه، لا أريد أن أسمع شيئا!

ليمان : (يشـــير إليه ويضحك.) انظر إلى نفســـك! يا إلهي، أنت تحب ثيودورا بحق، صحيح!

توم : بالطبع أحبها! أنت لا تفكر في الطلاق، صحيح؟

ليمان : لا أعرف فيم أفكر. مرت سنوات دون أن يحدث لي شيء آخر كهذا.

لكـــن من المحتمل ألا أفعل شـــيئا ... ربما أردت أن أفضفض بصوت عال.

توم : لدي إحساس أننا سنجتاز تلك الظروف.

ليمان : كنت مستعدا لها، لكنها تزيد حالتي سوءا. بصراحة لـــم أصدق أن الرجال المتزوجيـــن من امرأة واحدة مثلك ســـعداء حقا، لكن معها يمكنني أن أدرك ذلك

---

(١) معنى quaker: عضو في جماعة الصحاب، وهي طائفة مسيحية أسسها في ١٦٥٠ م رجل الدين الإنجليزي جورج فوكس.

بنفسي تقريبا. لكن ذلك لا يمكن أن يحدث مع ثيودورا. لكن معها سأواصل الهروب حتى أموت، وتلك هي الحقيقة بعينها.

توم : تعرف أنها تحبك بعمق يا ليمان.

ليمان : أحبها أيضا يا توم، لكن اضطراباتنا العصبية لا تتطابق.

توم : بصراحة لا أتخيل أنكما متباعدان، تبدوان متلاصقين للغاية.

ليمان : أعرف. كنت أعتمد دائما على إحساس الواقعية الذي تمتلك ناصيته، خصوصا فهمها العميق لهذا الوطن. لكنني لا أريد أن أتسم بالخداع أكثر من ذلك، كرهت كل أشكال الخداع. أصبحت نازيتي أسوأ أشكال الرعب، أريد أن ألبس وجهي الحقيقي كل يوم حتى أموت. أم أنك تظن أن هذا النوع من الأمانة ممكن تحقيقه؟

توم : لست مضطرا لأن أخبرك بأن المشكلة لا تكمن في الأمانة، لكن كم مرة أصبت بها الآخرين.

ليمان : حقا. ماذا عن دينك؟ لكن لا يوجد حل له أيضا كما أظن.

توم : لا أستطيع أن أتخيل أنك تصلي بطريقة ما يا ليمان.

(وقفة قصيرة)

ليمان : هل توجد إجابة.

توم : لا أعرف، ربما كل ما يستطيع أن يفعله كل إنسان أن يأمل أن ينهي آثامه بالندم الصادق.

ليمان : (لحظة صمت) هل تعرضت للخداع من قبل يا توم؟

توم : لا.

ليمان : أتحلف بالله؟ رأيتك تتلصص على الفتيات في المنطقة.

توم : إنها الحقيقة.

ليمان : هل هذا هو الندم الذى تنهي به آثامك؟

(توم يضحك بخجل، ثم يشاركه ليمان الضحك، وفجأة تطفو معاناة ليمان على وجهه.)

اللعنة، كان ذلك قاسيا يا توم، سامحني، هل ستسامحني؟ اللعنة، لماذا أسمح لنفسي بأن أكتئب؟ إنه ذنب عديم الجدوى، هذا هو بيت القصيد! هنا ابدأ من لا شيء، أخلق مائة واثنتين وأربعين فرصة عمل للناس، وأُرَّقي بما يربو على ستين عاملا من فقراء الزنوج لوظائف مكتبية عندما كان ذلك صعب التحقيق، لابد أن أكون فخورا بنفسي، سافل! وأنا! أنا! (يضرب على المكتب، ثم يهدأ، ينظر للأمام وللأسفل.) أنا أحب وجهة نظرك. ذلك النهر الأحمر الذي يعكس الأضواء ينساب عند شارع المتنزه في



ليلة شتوية، وكل هؤلاء النساء البيض اللاتي يلبسن الملابس الحريرية، يعبرن داخل تلك السيارات الليموزين الدافئة ... اللعنة، هل يمكن أن توجد صورة للعالم أكثر إثارة؟ (يستدير نحو توم.) أنا دائم التفكير في أبي، كيف كان مرتبطا بحياته، لم يكن يستطيع أن ينتظر ليفتح المتجر كل صباح ليفرز المخللات، ويعيد رص براميل الزيتون، بَشر بهذا الوصف يعرفون الشيء الرئيسي، الذي هو ماذا؟ ما هو الشيء الرئيسي، هل لديك علم؟

(توم صامت.)

انظر، لا تقلق، لا أستطيع أن أتخيل نفسي من دون ثيودورا، هي عظيمة، زوجة عظيمة! .... أحب تلك المرأة! الحديث معك مفيد دائما يا توم.

ليمان : (يهم بالرحيل، يتردد.) : ربما تكون الحياة بسيطة لو حاولت أن تعيش وفقا لرغباتك الحقيقية، لابد أن تكف عن النظر إليَّ هكذا (تشير إلى الاشمئزاز والقرف والغثيان).

(يخرج. تغطي ليا وجهها، وقفت حتى يلحظها توم.)

توم : أنا آسف.

ليا : لقد حَسِبَ كل شيء منذ البداية.

توم : يمكنني أن أقول إنه أكثر من ذلك ... ارتجال مستمر.

ليا : والشيء المحير جدا أنه هو الذي كان يسارع بالزواج، ولست أنا. كان الرضيع هو السبب، مفهوم، عندما كنت حُبلى لم يسمع صوت العقل ...

(يهرع ليمان ومعطف شتوي يحتويه، يضرب بيده على فمها.)

ليمان : لا تقولي إن الوقت تأخر جدا. (يقبلها.) هل أجريت الأشعة؟

ليا : كنت في طريقي للمستشفى.

ليمان : آه، شكرا لله. (يسحبها إلى المقعد، ويشدها للجلوس.) من فضلك يا عزيزتي، اعطني دقيقة كاملة ثم افعلي ما تشائين.

ليا : لا يا ليمان. مستحيل. (من الواضح أنها تغير الموضوع، بألم.)

انظر إليّ، يقولون إن ريجان على وشك الفوز بالانتخابات.

ليمان : حسنا، ربما يكون نجاحه مفيدا لجو العمل. الأغبياء مفيدون دائما.

تعرفين أن إنجابك لطفل سيغير ما بيننا.

ليا : حبيبي، سيولد لأحد الوالدين وأنا لا أريد ذلك.

ليمان : اخترت له اسما.

ليا : (تضحك، تمسك وجهه.) كيف عرفت أنه ذكر؟

ليمان : لم أخطئ أبدا. لدي علاقة وثيقة مع بطون الأمهات. اسـمه بنيامين على اسـم أبي، وألكسندر على اسم والد جدتي لأمي الذي أحبه كثيرا.

(يقطب بسـبب إحساسـه بالأنا.) يمكنك أن تضعي اسمك بين الاسمين.

ليا : (بضحكة غير سعيدة) حسنا. شكرا جزيلا! (تحاول أن تقف، لكنه يمسكها.) طلب مني ألا أتأخر.

ليمان : كان للروس عادة قديمة، فقبل أن يفترقوا يجلسـون صامتيـن لبرهة. امنحينـي تلك البرهـة من أجل بنيامين.

ليا : إنه ليس بنيامين، والآن كُفّ عن ذلك!

ليمان : صدقي أحاسيسـك يا ليا، ما تبقى فهو هراء. ماذا تريدين حقا؟

(صمت لبرهة.)

يمكنني أن آخذه بسـيارتي إلى المدرسة كل صباح، وآخذه إلى ألعاب الكرة.

ليا : مرتان فى الشهر؟

ليمان : عندما سـأقوم بافتتاح المكتب الجديد هنا، يمكنني أن أكون معك أكثر من نصف الوقت.

ليا : وثيودورا؟



ليمان : من الصعب التحدث بشأنها.

ليا : تقصد معي.

ليمان : لا يمكنني أن أكذب على نفسي يا حبيبتي، لقد كانت امرأة مدهشة.

سيكون ذلك مجحفا.

ليا : لكن إلى أين سيقودني بقاء الأمر سرا؟ من الصعب أن أعرف نفسي بالضبط. ولا أصدق أنها لن تكتشف ذلك عاجلا أم آجلا، وعندئذ ماذا سيحدث؟

ليمان : فى الحقيقة لو كان علي أن أختار فسأختارك أنت. لكنها لا تعرف أحدا في المنطقة بأسرها، أمر اكتشافها واحد في المليون. بشكل عملي أنا معك نصف الوقت، أليس ذلك ما تحبينه، صحيح؟

ليا : (تلمس بطنها.) ... لكن ماذا سنسمي هذا ....؟

ليمان : ... بنيامين.

ليا : آه، كفاك إطلاق اسم بنيامين عليه! إنه لم يكمل حتى ثلاثة أسابيع!

ليمان : أمامه وقت طويل ليصبح بنيامين، لديه طالع، نجوم وكواكب، أمامه مستقبل!

ليا : لدي إحساس ... لماذا أشعر بأننا ندور حول شيء ما؟ هناك شيء لا أصدقه هنا، ما هو؟

ليمان : ربما يأسي. (يقبل بطنها.)

ليا : هل أنت؟ لا أســتطيع أن أعبر عنه ... هناك شــيء يخص ذلك الطفل لا يبدو ... لا أعرف، أمر واقع.

ليمان : حبيبتي، لم أتمن شــيئا أكثر مــن ذلك منذ أن كنت في العشــرين من عمري، عندما كنت أكافح لأصبح شاعرا وأكتب عملا خاصا بي يمكن أن يظل للأبد.

ليا : حقيقي؟

ليمان : إنها الحقيقة.

ليا : أمر مؤثر يا ليمان ... تأثرت جدا.

(هكذا عُلق أمرها لبرهة.)

لكنني لا أستطيع، لن أفعل، إنها قصة حياتي، أنا دائما أضع كل الاحتمالات، سأكون موكلة بأمر ابنك بشكل كامل، وأعرف أنني أخيرا سوف أستاء من ذلك، وربما أنت أيضا. أنت تعيدني لســن الثانية عشرة أو الثالثة عشــرة ليسألني والداي أين ســأذهب في الإجازات، أو أي ســيارة سأشتريها أو ما لون الستائر. أكره ذلك الوضع! إن أكثر الأشــياء حساسية عندك هو عندما كنت أستلقي في المؤخرة وأتركك تقود السيارة، والآن أنت تضعني تحت العجلات مرة أخرى.

الأمر كله خطأ.

ليمان : لكن عندما تبلغين ســتة وثلاثين عاما ســأكون في



السنين.

ليا : لا يعني لي شيئا.

ليمان : يا غبية، أنت لا تنصتين، عندما تبلغين ستة وأربعين عاما سأكون في السبعين.

ليا : إذن لن تكون في الثمانين. اتخذت قراري يا عزيزي.

ليمان : أعتقد لو أننا عشنا معا لعشر سنوات مثلا، ستكونين في أوج شبابك، وثرائك فاحش، وأنا سأ ...

ليا : ... اهرب إلى غروب الشمس؟

ليمان : أنا يا حبيبتي أحاول أن أكون كالحياة واقعيا ... واقعية قاسية كالحياة . هل أحببت من قبل رجلا كما أحببتني؟

ليا : لا.

ليمان : إذن؟ تلك هي الحقيقة الوحيدة.

ليا : يمكنك أن تقلني إلى المستشفى إذا كنت تحب الواقعية جدا. (تقف، يقف.) تبدو حزينا جدا! أيها المسكين.

(تقبله، وداع صامت تحمله تلك القبلة، تحضر معطفها وتستدير نحوه.)

لن يضعفني ذلك، عزيزي لذا حَكِّم عقلك.



ليمان : إذا فعلت ذلك فسيفقد كل منا الآخر. أستشعر بذلك.

ليا : حسنا، هناك طريقة واحدة بسيطة كي لا تفقدني يا عزيزي، أظن أنهم اخترعوها لهذا السبب. تعال، وانتظر في المستشفى إذا أردت ذلك. لو لم تأت فسأعود غدا. (تسحبه نحوها، لكنه يتردد.)

ليمان : هل تستطيعين أن تمنحيني أسبوعا حتى أخبرها؟ لا يزال الأمر مبكرا بالنسبة لك، صحيح؟

ليا : تخبرها بماذا؟

ليمان : ... بأنني سأتزوجك.

توم : فهمت.

(يتحرك ليمان نحو الظلام.)

ليا : أنا لا أفهم ذلك، إن لديه الكثير من النساء، لم اختارني كي يتعذر عليه استبدالي؟ (تنظر إلى ساعتها، تحدق صامتة.) يا إلهي!

كيف سأخبر إبني؟

توم : إنه في التاسعة من عمره الآن؟

ليا : ويهيم بليمان. يعبده.

توم : من الأفضل أن أذهب إلى المستشفى. (يهم بالذهاب، يتوقف مترددا.)

لاتجيبي عن هذا السؤال لو لم يكن لديك رغبة،

لكنك تظنين أن في إمكانك أن تستعيديه؟

ليا : (تفكـــر لبرهـــة.) كيف تطلب مني هـــذا الطلب؟ إنه طلب شنيع.

توم : أنا آسف جدا. أعتذر.

ليا : (تُثار بفضول.) لماذا؟ ممكن ثيودورا؟

توم : ليست لدي فكرة.

ليا : لماذا تسألني؟

توم : أشعر بأنه ربما يكون مهما.

ليا : مستحيل. كيف أثق فيه مرة أخرى؟ (وقفة قصيرة.) تسببت في معاناتي كأنها امرأة جبارة، صحيح؟

توم : آه، لكـــن لديها جانبا حنونا أيضا. أعتقد أنها لم يعد لديها وقت لتفكر في المستقبل أكثر مما تفكرين.

ليا : (وقفة قصيرة.) ربما لا أســـتطيع أن أستعيده أبدا، لكن كل ذلك يذكرني بفكرة طالما عاشت في ذاكرتي عنه ... حسنا، ستبدو فكرة غامضة وسخيفة ...

توم : من فضلك، أحب أن أفهمه.

ليا : حســـنا ... باختصار إنه يطلب الكثير، مثل طفل في سوق، جيلي بطعم التفاح هنا، حلوى قطنية هناك، ثم التحليق فـــي بالون ... ولا يتوقف، وأحيانا يبدو كما لو أنه عاش حياة أخرى من قبل، حياة أخرى مقفرة تماما، وتلـــك المرة لا يجب أن يفوته شـــيء واحد.



وهذا هو ما جعل النســـاء تــراه جذابا جدا، أقصد، عقل ليمان معلق في جونلة امرأة لكنه شـــيء نادر أن تكون مرغوبا هكذا، اللامبالاة هي ما يشـــعر به كل الرجال الآن، أقصد أن لديهم شهية دون جوع، وهنا رجل جائع بشكل فظيع والأمر ببساطة ...حسنا ... يتضح عندما تبلغ المرأة خمسة وعشرين. سأخبرك بالحقيقة، اكتشفت فيه شيئا مجهولا لم يكن ظاهرا

لكـــن أظن أنه يحبكي حبا كبيـــرا ... (تتوقف) لكن لا يجب أن أتكلم بتلك الطريقة، إنه الشـــخص الذي لا تغتفر له أعمال! إنها أحقر الأشـــياء التي سمعت عنها!

الإجابة بالنفي، النفي المؤكد!

توم : (يومئ، يفكر، ثم.) حســـنا، ســـأغادر. آمل ألا تكون علاقتك بالفتى الصغير صعبة جدا. (يخرج.)

(إظلام على ليا.)

(ليمان يغط غطيطا خفيفا، يعاني من نوم مضطرب، وبالتالي أحلام مزعجة.)

(يظهر الأب، ســـعال المدخن يعلن عـــن وجوده في الظلام المهيمن على المكان.)

الأب : ابتعد عن الســـطح. علاقاتك بكل تلك الفتيات تؤثر سلبا على العمل هناك.



أشـــعر بالخجل أمام أخوتي. (يجلس على الفراش) لماذا تتحدث كثيرا مع أمك؟ هي لا تعرف شـــيئا، لا تريد أن تذهب إلى فلوريدا معي، ترى أن الحياة في ولاية واحدة كافية للمرء. امرأة غبية.

ظننت أن المرأة يهودية ذكية. أنتما الاثنان أصبتماني بالإحباط.

أقول لك ذلك لتتجو قبل أن تتسبب بفضيحة في العمل.

(يدخل توم مع الممرضة. ترفع جفني ليمان. يختفي الأب، يسعل.)

الممرضة : لايزال بين الاستيقاظ والنوم. لكن يمكنك أن تحاول معه.

توم : ليمان؟ هل تســمعني؟ (ليمان يتوقف عن الغطيط، لكن ما تزال عيناه مغمضتين.) أنا توم ويلسون.

الممرضة : استمر، لا يجب أن يبقى طويلا على هذا الحال.

ليمان : (يفتح عينيه.) أنت في المخزن؟

توم : أنت في المستشفى.

ليمان : المستشــفى؟ آه، حقــا، حقا ... (يحــاول أن يركز.) أمهلني لحظة، أنا مشوش قليلا. كيف أتيت إلى هنا؟

توم : اتصلت بي ثيودورا.

ليمان : ثيودورا؟



توم : سيارتك مسجلة في إدارة مرور الولاية لذا اتصلت بها الشرطة.

ليمان : حلمت حلما غريبا أنها هي وبيسي... (يتوقف.) ليستا هنا، صحيح؟

الممرضة : قلت لك إن زوجتك جاءت ...

توم : (للممرضة) : اسمحي لنا، من فضلك؟

الممرضة : لكنني أخبرته. (تخرج.)

توم : تقابلتا يا ليمان.

ليمان : (وقفة. يجاهد كي يعدل نفسه.) : ثيو ... لم تنهار، صحيح؟

توم : نعم، لكنها أتت للزيارة، ستكون على ما يرام.

ليمان : أنا لا أفهم ذلك، أظن أنني حلمت بكل شيء ...

توم : حسنا، لن يكون هذا صعبا جدا، الأمر كله حتمي.

ليمان : لماذا تبدو قاسيا جدا؟

توم : لا يوجد وقت للتصرف بحمق، لديك موضوعات لا بد أن تتخذ بشأنها قرارات. كل شيء يبثه التلفزيون ...

ليمان : آه، هل قابلت ليا؟ قُضي عليَّ.

توم : تحدثنا. إنها امرأة جديرة بالاحترام .

ليمان : (بامتنان) صحيح؟ هي غاضبة، أيضا، هه؟

توم : طبعا، ماذا تتوقع؟



ليمان : أنظر ...ظننت أنني سأُطلق ثيو بعد ذلك. لكن الوضع استقر فاحتفظت بكلتيهما. وبعد ذلك استحالت الأمور... ما حال بيسي؟

توم : صُدمت إلى حد كبير كما أظن.

ليمان : يا إلهي، وبيني[1] الصغير المسكين! يا للهول، ليتني أخترق السقف وأختفي.

توم : كل ذلك يبثه التلفزيون. أظن أنك من الأفضل أن تعقد مؤتمرا صحافيا لتقطع كل الألسنة. إذا كانت نواياك ذلك.

ليمان : أي مقصد؟ فقط أعطهما ما تريدان. ربما أرحل وأعيش في مكان ما ....في البرازيل أو في مكان آخر...

توم : لن تحاول أن تحتفظ بإحداهما.

ليمان : هل جننت؟ ليس لهن فائدة معي. يا إلهي... (يشيح بوجهه، تترقرق الدموع في عينيه.) كيف ألحقت الدمار بكل شيء هكذا!

شخصيتي المريعة! (بتركيز شديد.) : لماذا قدت السيارة في تلك العاصفة! لا أستطيع استيعاب ما حدث! كان لدي غرفة في فندق هوارد جونسون، أظن أنني كنت في الفراش...

(١) بنيامين (المترجم)



توم : ربما تتجلي الأمور. هل تسمح لثيو بدقائق؟ تريد أن تودعك.

ليمان : كيف أواجهها؟ أطلب منها أن تنتظر حتى الغد، ربما أشعر بتحسن قليلا و...

(ثيودورا وبيسي تدخلان، ليمان لا يلحظهما وهما تقفان جنبه.)

توم : إنهما هنا يا ليمان.

(يغمض ليمان عينيه، يتنفس سريعا. بيسي تمسك ثيودورا من مرفقها، تصحبها حتى الفراش.)

بيسي : (تهمس والرعب يتملكها.) انظري إلى جبيرة العظام! (تشيح.)

آه يا أمي!

ثيو : كفى. (تميل نحو ليمان.) ليمان؟ (لا يستطيع الكلام.) أنا ثيودورا.

ليمان : (يفتح عينيه) اهلا.

ثيو : كيف حالك؟

ليمان : ليس سيئا جدا. آمل أن تُجدي معي مسكنات الألم تلك ... هل أنت بيسي؟

بيسي : أنا هنا من أجل أمي فقط.

ليمان : آه، لا بأس. أنا آسف يا بيس، أقصد أن شخصيتي سيئة جدا.

لكنني فخور لأن لديك قدرة كافية لتحتقريني.

بيسي : ومن ذا الذي لا يحتقرك؟

ليمان : حسنا! (يكاد صوته ينبئ عن انهياره، لكنه يتمالك نفسه.) هذا هو القول الفصل يا حبيبتي.

بيسي : (بغضب سريع.) لا تناديني هكذا...

ثيو : (لـ بيسي) ششه (كلمه تشير إلى ضرورة التوقف والانتباه) ! (كانت تلاحظه في صمت.) ليمان؟ هل ما عرفته حقيقي؟

(يغمض عينيه.)

لا بد أن أسمع منك. هل تزوجت تلك المرأة؟

(غطيط عميق يصدر من الرأس المضمد.)

ثيو : (بعجالة) ليمان؟

بيسي : (تشير) إنه ليس نائما حقا!

ثيو : هل أنجبت من تلك المرأة يا ليمان؟ أنا أصر على سؤالي!!

(يظهر ليمان على جانب الفراش في مؤخرة خشبة

المسرح، يداه مطبوعتان على عينيه، لكن يبقى الجسد في جبيرة العظام كما كان. يلبس رداء المستشفى، لكنه غير مضمد.

الإضاءة تتغير، أثير غير ملون، جو خال من الألوان.)

ليمان : (صرخة عذاب، الأذنان مختفيتان) أسمعك!

(تستمر ثيو في مخاطبة قمة جبيرة العظام المضمدة، وعينا بيسي تحدقان فيها أيضا، لكن موقفها أصبح رسميا، لأنها أصبحت في مجال رؤيته. كل شيء الآن يهدده بشكل مؤكد.)

ثيو : بحق الله ماذا اقترفت؟

(وهو يتلوى من الصراع، يتنحنح. يظل في مؤخرة خشبة المسرح بعيدا عن الفراش.)

بيسي : (تميل فوق قمة جبيرة العظام) ششه! إنه يقول شيئا!

ليمان : أنا أدرك ...كم يبدو الأمر جنونيا، يا ثيودورا ... (يتوقف.)

ثيو : نعم؟

ليمان : حقا أنا لست على يقين، لكن ...مندهش لأن ذلك الحادث... ربما دون قصد ... جعلكما ... تتقابلان، أخيرا.

ثيو : (باشمئزاز) أقابلها؟

ليمان : أعرف أن ذلك يبدو عبثيا لكن...

ثيو : عبث! إنه يثير الاشمئزاز! إنها من النوع الذي ينسى أن يغسل ملابسه الداخلية تماما.

ليمان : (يجفل، لكن باعتراف ممتع محدد) أعرف أنك ستقولين ذلك!

أعترف بذلك، مع أن بها جانبا مهملا في ...

ثيو : إنها من أسوأ الأجيال في تاريخنا. تتكح كل من يرتدي ملابس، ثم تلقي بفضلاتهم مثل القطط، وتتشدق بالمذاهب الصوفية وتتسبب إلى المسؤولية الكونية وعلم البيئة وحقوق الإنسان!

ليمان : سأقف مشدوها بسبب قدرتك على الحديث لفقرات كاملة حتى أموت!

ثيو : أنا أصر على أن تفسر لي ذلك بنفسك. ليمان؟ يا ليمان!

(تدخل ليا. تتأثر قليلا)

لن يكون لأحد وجود هنا إلا للعائلة! (لبيسي) احضري الممرضة!

ليا : (رغما عن ثيو تقترب من الجبيرة، لكنها غير متأكدة بشأن رد فعله تجاهها).

ليمان؟

ثيو : (لتوم) اطردها من هنا! (يقف توم ثابتا، وتذهب

نحوه غاضبة.)

إنها لا تنتمي لأحد هنا!

ليا : (لجبيرة العظام .. بدفء محدد.) إنني أنا يا ليمان. هل تسمعني؟

ثيو : (تندفع مهددة تجاه ليا.) أخرجي من هنا، أخرجي، أخرجي ...!

(بينما تهم بوضع يديها على ليا، يقذف ليمان بيديه عاليا ويصرخ متوسلا.)

ليمان : أريد من الجميع أن يتمددوا!

(تلتزم الثلاث نساء بالثبات، كما لو أنهن فجأة يقعن مرغمات تحت سيطرته. يشير ليمان من دون أن يلمسهن، ويجعل ليا وثيو تتمددان على الفراش.)

ليا : (وهي مستلقية على الفراش، يخرج صوتها ناعما وبعيدا.) ماذا أنا قائلة لبيني؟ آآه، ليمان، لماذا أنت ...؟

ثيودورا : (مستلقية بجوار ليا) رائحتك كريهة، لماذا لا تضعين عطرا.

ليا : أنا بالفعل أضع عطرا، لكنه يحب ذلك النوع.

ثيو : بااااه [1] (لـ ليمان) وماذا أنت قائل لو أن واحدة منا أخذت رجلا آخر للفراش، وطلبت منك أن تستلقي

(١)(blah) كلمة تستخدم لوصف الكلام بأنه هراء وللسخرية منه.



بجواره؟

ليمان : (يخلع نظارتها) آه، ربما أقتله يا عزيزتي، لكنك سيدة يا ثيودورا، الإبداع الرقيق لعينيك النبيلتين، إيمانك النسوي بي، وصحوتك ومثاليتك وطمعك غير المعلن في الثـــروة، الرقة الشـــديدة لأصابعك الخشـــبية، طهوك للطعام البروتســـتانتي الذي لا يتغير، لباقتك وحسن تصرفك وسوء خبرتك في العلاقة الزوجية، حذاؤك الحســـاس وأمومتك المكرسة، راديكاليتك الســـابقة غير المتســـامحة وحبك المخلص للوطن الآن، ثيودوريتك! مَنْ تلك التي تحل محلك!

ليا : (تضحك) لماذا أنا أضحك؟

ليمان : لأنك فوضوية يـــا حبيبتي! (يمد يديـــه إليهما.) آه، يالهـــا من متعـــة، أي قوة! تياراتكمـــا المتضادة مثل أسلاك عارية مباشرة! (يقبل كل منهما.) ليس لدي مشـــكلة في أن أدافع عن كليكما حتى أذوق الموت! آه، الحرارة المزدوجـــة لزوجتين مباركتين، ذلك هو النعيم! (يسند رأسه على ليا، بينما يضع يد ثيو فوق خده.)

ليا : استمع، لا بد أن تتخذ قرارا بشأن موضوع ما.

ليمان : أنا أماطل كلمـــا كان ذلك ممكنا، دعونا نماطل حتى الموت! المماطلة، المماطلة، كم أن المماطلة لذيذة يا حبيبتي ليا!

ثيو : (تعتدل) اســـتمرارك في الحديث عن الحب بعيد كل

البعد عن مجال فهمي.

ليمان : ومازلت أحبك يا ثيودورا، على الرغم من أن أعضاء بعينها في جسدك تثير غضبي!

ثيو : لذا بحثت ببساطة عن قطع غيار بديلة لنفسك.

(ليا، لا تزال مستلقية على ظهرها، ترفع ساقا عاليا، وجونلتها تنحسر عنها فيظهر فخذها.)

ليمان : (يرد على ثيودورا.) تلك هي الحقيقة، نعم، على الأقل كان كل ذلك لحما في البداية.)

ليا : (تشد ذراعيها وجسدها) : آه، كم كان ذلك جميلا! مازلت أخطو على أطراف أصابعي. (تقف، تقترب منه) حقا تتمتع بالصحة، صحيح.

ليمان : (محاولة ملتوية.) تقصدين بالنسبة لعمري؟ نعم.

ليا : لم أقصد ذلك!

(الآخرون يغشاهم الظلام، يسيران وهما متشابكي الأذرع وضوء الشمس يسقط عليهما.)

ليمان : صحتي مريعة، في الواقع، إنها تهدد كرامتي باستمرار.

(يجلسان كما لو على مقعد في متنزه.)

ليا : لماذا؟!

ليمان : حسنا، كيف يعقل أن أتسكع في متنزه مع فتاة في يوم عمل!



حقيقة لم أخطط للقيام بذلك هذا المساء. هل كنت تعرفين أنني كنت أخطط لذلك؟

ليا : لا ... لكنني لم أخطط لذلك أيضا.

ليمان : حقيقة؟ لكنك تبدين منظمة.

ليا : في العمل، لكن ليس في المتعة.

ليمان : ما أدهشني هو انفتاحك في الضحك مع هؤلاء المديرين التنفيذيين على المائدة.

ليا : حسنا، عرضك كان مضحكا. ما كنت أتوقعه هو عقل حقيقي، وليس عقلا مضحكا.

ليمان : حسنا، التأمين أساسا أمر مُضحك، صحيح؟ على الأقل مثير للشفقة.

ليا : لماذا؟

ليمان : أنت تشترين الخلود، صحيح؟ تخرجين من القبر لتدفعي ثمن الفواتير، تُذكّرين الناس بحبك؟ إنه الشِعر. كانت الروح تتسم بالخلود، الآن لدينا بوليصة تأمين.

ليا : يبدو أنك تسخر منه.

ليمان : على الإطلاق. بدأت حياتي كاتبا، لا أحد يتلهف إلى الخلود مثل الكاتب.

ليا : كيف عملت في مجال التأمين؟

ليمان : الصدفة المحضة. وكيف عملتِ أنت فيه؟

ليا : ماتت أمي، وأصيب أبي بجلطة، والتأمين كان عملا يمكنني القيام به من المنزل. كان أبي يعرف الكثير من الناس لأنه طبيب ولذا نجحت.

ليمان : لا تفهمي ما سأقوله لك خطأ، لكنك تعرفين ما أراه مثيرا بشكل كبير فيك؟

ليا : ماذا؟

ليمان : استقلالك المادي. فظيع، هه؟

ليا : لماذا؟ (باعوجاج) ما يفيد فهو مفيد.

ليمان : لا يبدو عليك أنك متزوجة، صحيح؟

ليا : هل هذا الوقت المناسب لتسأل هذا السؤال؟ (يضحكان، يقتربان.) لا أرى نفسي متزوجة... على أي حال ليس بعد. على فكرة، هل كنت تسمعني؟

ليمان : نعم، لكن اهتماماتي تبحث عن الدفء ومكان ذي فرو ... (تضحك، مبتهجة.) الشيء المضحك أن يتزوج أبناء جيلي ليظهروا نضجهم، وكذلك بقاؤك دون زواج لنفس السبب.

ليا : كلامك رائع!

ليمان : كم أنا سعيد! (يشم يديه.) ... الجلوس تحت شمس إليميرا معك، ورائحتك لاتزال بين يدي! يا إلهي! كل سبل العيش الموجودة هناك هي أن تحاولي أن

تكوني واقعية!

ليا : ماذا تقصد بذلك؟

ليمان : لا أعـــرف الصلة، لكن عندما بلغت العشـــرين قمت ببيع ثلاث قصائد لمجلـــة النيويوركر وقصة لمجلة هاربر، وأول شـــيء اشـــتريته كان بدلـــة زرقاء لأثير إعجـــاب أبي وأبيِّن له كم كنـــت ناجحا لكوني كاتبا. أدار متجرا للمشـــهيات في شـــارع الأربعين وشارع تسعة، اسمه «أخصائيو الميدل إيسترن» ... تعرفين، زيتون، عنب، أوراق ...

كل أنواع الأشـــياء ذات الرائحة الجميلة. (ابتســـامة عريضة، يوشك أن يضحك.)

ورأى البدلة وقال «كم دفعت مقابلها؟» وأجبت «تسعة وعشـــرين ونصف» كان ظنه أنني حصلت على عقد كبيـــر. وقال «أدعـــو الله أن يرعـــاك فيما تبقى من حياتك».

ليا : (تضحك) أمر فظيع!

ليمان : لا! شـــجعني. (يضحـــك.) كان يؤمـــن بحكمتين. لا تثق بالآخرين، ولا تتســـامح. مضحك، كأنه السحر، ببساطة لا أستطيع أن أتذكر كيف خلدنا للفراش.

ليا : (تنظر إلى ســـاعتها) لابد أن أعود للمكتب. لكن هل اسم ليمان ألباني؟

ليمان : ليمان هو اســـم قاض في ووستر، هو الذي منح أبي

الجنسية.

فيلت هو اختصار فيلتمان، اسم عائلة أمي لأن اسم أبي لم يكن واضحا وطلبوا اسم شخصية أمريكية ناجحة للولد.

ليا : إذن أمك كانت يهودية.

ليمان : ومصدر كل صراعاتي. في الذاكرة اليهودية محام وقاض، وفي الذاكرة الألبانية قاطع طريق يتحدى الحكومة بسكين.

ليا : يا لها من مفاجأة تصدر عنك! (تقف، ويقف.)

ليمان : أن أكون سخيفا جدا؟

ليا : أن تكون ممتعا، وفي مجال التأمين.

ليمان : (يمسك يدها) متى كانت هذه اللحظة؟ يقتلني الفضول.

ليا : لا أعرف ...أظن على مائدة المؤتمر فجأة تذكرت «كان يتحدث معي بشكل أساسي». لكنني استدركت أن السبب في كونه بائعا ماهرا، لأن كل من يتحدث معه يشعر بالألفة.

ليمان : تعرفين؟ لم أقم علاقة مع فتاة يهودية من قبل.

ليا : حسنا، أنت أول رجل ألباني أعرفه.

ليمان : لديك وقار في عينيك. ليس قديما أو عتيقا. مثل بني وطني.



ليا : (تلمس خديه) اعتن بنفسك يا عزيزي.

ليمان : (بينما هي مارة أمامه في طريقها للرحيل، يمسك يدها) لماذا أشعر بأنني لا أعرف عنك شيئا على الإطلاق؟

ليا : (بلا مبالاة، تبتسم) ربما لم تكن تسمع ... لكنني لا أمانع إذا كان هناك سبب معقول.

ليمان : (يترك يدها) .... (تضحك، تمنحه قبلة سريعة.) متى سترحلين، هل ستديرين ظهرك لي لبرهة؟

ليا : (بابتهاج) بالتأكيد، لماذا؟

ليمان : (برومانسيته شبه المازحة) لا بد أن أستقل طائرة ركاب صغيرة وإذا مت فأريد أن تكون تلك الصورة في مخيلتي وأنا أهبط.

ليا : (تدير له ظهرها مُلوِّحة) : مع السلامة يا ليمان ...

ليمان : هل يمكنني أن أسألك عن ذلك الرفيق الذي كان يطرق باب شقتك؟

ليا : (باندهاش) شخص ما اعتدت الخروج معه ..كان غاضبا، هذه هي الخلاصة.

ليمان : هل أنت خائفة منه؟

ليا : (تهز كتفيها بشك) إلى اللقاء يا عزيزي.

(تســتدير وتســير بضع خطوات، ثم تتوقف، وتلف رأسها لتنظر خلفها إليه من فوق كتفيها.)

ليمان : جميلة.

(تخرج.)

ليمان : (وحيـدا) عجبا. (يفكر لبرهة.) ما أزال ... هل كان كل ذلك عظيمـا؟ (يرن جرس الهاتف، يذهب نحوه، يرفع السماعة، ينزعج.) ثيو؟ مرحبا يا حبيبتي، كنت على وشك المغادرة.

آه، بالتأكيد، فيها تجرى الكثير من العمليات الكبرى، تحدثت مع كبيرة المندوبيـن هنا، ووافقت، لذا من المحتمـل أن أقضـي وقتا أطول هنا. نعـم، امرأة، لديها وكالة كبيرة، ربما أشتري من خلالها.

اسمعي يا عزيزتي، ما رأيك في أن تستقلي الطائرة إلى هنا، ونسـتأجر سـيارة وننطلق بها إلى تشيري فالي، كل الزهور تتفتح الآن! آه، نسـيت، لا، لا، من الأفضـل أن تذهبـي لاجتماعـك إذن، لا بأس، لا، خطر لي فجأة كيف أن الأمور تسير سريعا و... ألم يساورك الشعور بأنك لم تعرفي شخصا بحق؟

(لم تعرف، يستاء، تمتزج الحدة بصوته.)

حسـنا، نعم، يسـاورني ذلك الشـعور أحيانا، كثيرا جدا، أشـعر بأنني سأتلاشـى دون أن يُقتفى أثري. (الآن يشـعر باسـتياء، بغضب خفي، الرومانسـية



ولت الأدبار.) إذن يا عزيزتي ثيو ، لا شـــيء ضدك، قصــدت أن أقول إننــا بعد كل التحليــلات العادية والروايات والتحليلات الفرويدية، فلا نزال غامضين ومجهولين كخط في تماثيل ملتصقة بجدار كنيسة.

(يضع الســماعة. الآن تســلط الأضواء على جبيرة العظام فوق السرير، يتحرك نحوها وينظر إلى نفسه. بيسي وثيو وليا يقفن بلا حراك حول الفراش، وتوم يتحرك إلى جانب آخر، يرقب.

ليمان يرفع ذراعيه، ويرفع رأسه كأنه يتضرع.)

كلنا في كهف...

(الســيدات الثلاث يتحركن الآن، بخفة في البداية، رؤوســهن تستدير كأنهن يبحثن لرؤية شيء ما بعيدا جدا أو فوق الرؤوس أو فوق الأرض.)

... حيث دخلنا لننعم بالحب أو بالمال أو بالشــهرة. المــكان مظلم هنا، مظلم كوقــت الرقاد، وكل واحد يتحرك بصورة عمياء، يبحث عن رفيقته، ليلمسها، أو يأمل بأن يلمسها ويخاف، ويتكرر الأمل والخوف.

(بينما هو يتكلم، الســيدات الثــلاث وتوم يتحركون ويتقاطعون في مســارات متعرجة، واحد تلو الآخر، ينتشرون لمدى أبعد وأبعد فوق خشبة المسرح، حتى يختفي الواحد تلو الآخر. تحرك ليمان فوق الفراش حيث ترقد جبيرة عظامه.)

الآن إذن ...الآن بما أننا هنا ..ماذا سنقول؟ (ينحني ويدخل في جبيرته.)

(الضوء يتغير: يعود جَوّ الوقت الحاضر وصبغته.)

(توم يظهر مع الممرضة. يقتربان من الجبيرة، تفحص ليمان، تنحني مقترية من وجهه، بالضبط كما فعلت في أول ظهور لها في بداية المشهد، ترفع جفنه، إلخ.)

الممرضة : مايــزال حاله كما هو يفيق ويغيــب، لكن يمكنك أن تحــاول معه. هيا يا عزيزي، لا يود الطبيب أن تبقى طويلا هكذا.

توم : ليمان؟ ثيو تريد أن تدخل لتودعك.

(تدخل ثيو مع بيسي وتقتربان .....)

ثيو : ليمان؟ هــل تزوجت تلك المرأة؟ أنــا أصر إصرارا شديدا على أن تفسر لي ذلك الأمر بنفسك؟

(تدخل ليا. تتأثر ثيو في الحال.)

لن أسمح بوجود أحد في تلك الغرفة إلا أفراد العائلة!

(ليا تمضي بعيدا.)

اخرجي من هنا، اخرجي، اخرجي! (بينما هي تقترب من ليا كأنها ستضربها...)

ليمان : (صرخــة حيوانية تخــرج من أعماقــه. توقف ثيو، ويســتدير الجميــع لينظروا إليه وهــو ممدد هناك يلتقط أنفاسه. الآن يســتدير لينظر إليهم جميعا.)



يا إلهي! مرة أخرى؟

ثيو : (بهدوء لتوم، تحتار) ماذا قال؟

إظلام.

بيســي. تتمدد هنــاك محملقة فى الســقف. قلما تتحــدث دون أن يغالبها البــكاء. كان ملكها لوحدها ... عالمها. (توشــك على الانهيار.) أنت محق، أظن أنني ســأغادر. يبدو أن بقاءه سيطول إلى حد ما... لكن ربما من الأفضل أن أغادر فورا... (تشــرع فى الإمساك بحقيبتها، تتوقف.) لا أعرف ما العمل. لو انتظرت دقيقة فسأقتله، بعد أن اتساءل إذا كان ...

قد أُصيب بالجنون ...

(تدخل ليا. لم تتوقعا أن تتقابلا. وقفة مؤقتة. تجلس ليا)

ليا : صباح الخير.

توم : صباح الخير.

(صمت يشوبه الحرج.)

ليا : (تسأل) إنه غير موجود في غرفته.

ثيو : (لأنــه من الصعــب عليها أن تخاطب ليا، تســتدير نحوها ببطء.)

إنهم يعالجون عينه.

ليا : عينه؟

توم : لا شيء خطيرا، حاول أن يتسلق النافذة بالليل. ربما في نومه، جفنه جُرح قليل بسبب شجرة الوردية.

ثيو : (تقوم بعمل محاولة للتواصل) ما كان يجب أن يعرف أنه في الدور الأرضي.

(وقفة قصيرة.)

ليا :هممم! أمر مثير، بسبب صديقنا تيد كولبي الذي اتصل ليلة أمس، فهو رئيس شرطة الولاية هنا. فربما يضعون حاجزا خشبيا عند طريق جبل مورجان عندما يغطي الجليد المكان، ويعتقد أن ليمان أزاح

الحاجز جانبا.

توم : كيف عرفوا أنه هو الذى أزاحه؟

ليا : كانت هناك آثار إطارات متشابهة فوق الجليد.

ثيو : آه يا إلهي.

ليا : كان قلقا بشأنه، فهما صديقان حميمان، يخرجان للصيد معا.

ثيو : ليمان يصطاد؟

ليا : بالتأكيد، (تهز ثيو رأسها بريبة.) لكنني لا أتخيله أن يعيش في جو الكآبة هذا، هل تتخيله؟

توم : في الواقع.. نعم، أتخيله.

ليا : حقيقي. كان يصطاد دائما معي... وكانت السعادة تغمره. (ثيو تحدجها بنظراتها، بضجر، ثم تشيح بوجهها، ليا تنظر إلى ساعتها.)

لا بد أن أناقش بعض أمور العمل معه خلال دقائق،

لن أقف في طريقك.

ثيو : طريقي؟ طالما أننا نتناقش فأنت حرة في أن تفعلي كيفما تشائين.

ليا : (تندهــش قليلا) نعــم ...كذلك الحــال معي ...في حالتك. (فجأة.)

أقصد طالما أننا نتناقش. (العداء يجعلها تنظر إلى ساعة يدها مرة أخرى.) أريد أن أقول لك ...أحيانا أشعر بالرثاء لك أكثر مما أشعر لنفسي.

ثيو : (تطلق ضحكة مدوية) لمــاذا! هل أبدو متقدمة في العمر هكذا؟

(الإهانة الثانيــة تقوي من عزيمة ليا.) ما كان يجب أن أقول ذلك.

أنا أعتذر. أنا مرهقة.

ليا : (تســمح بتجاوز هذا التوتر) كيف حــال ابنتك؟ هل مازالت هنا؟

ثيو : (بنبرة عدائية على الرغم من كل شيء.) في الفندق، مُدمرة.

توم : هل تَقبل ابنك الأمر بشكل عادي؟

ليا : لا، دمــره، أمر فظيع. (لثيــو) : ظننت أن ليمان ربما يكون لديه فكرة في كيفية التعامل معه، فالصبي كان يوقره جدا دائما. حقيقي أنا على حافة الجنون.

ثيو : (انتابهـــا غضب مرير، لكنها متماســـكة) نحن ترابه، نفرد أجســـادنا ليخطو فوقها، وعندمـــا يمر نقف. بيلـــي هوليداي[1] ... (تلمس جبهتها.) لا أتذكر متى ماتت. منذ وقت قصير، تقريبا.

توم : بيلي هوليداي؟ لماذا؟

(توم وليا يرقبان، يندهشـــان عندمـــا تحدق ثيو في صمت. بعد ذلك...)

ليا : لماذا لا أعود خلال ســـاعتين. لـــدي دعوة لمؤتمر في الساعة التاســـعة والوقت تأخر قليلا.. (تقف، تذهب نحو ثيو، وتمد يدها) حســـنا، إذا لم نتقابل مرة أخرى ...

ثيو : (تلمس يدها سريعا : عداء مؤقت يسود) هل تفهمين ما حدث؟

ليا : أمـــر محير. قاد بســـرعة في طريق جبـــل مورجان، يعرف كيف يكون وضع الطريق حتى في الصيف.

ثيو : قاد بسرعة؟ تعنين سيارات؟

ليا : بالتأكيد. فلديه ســـيارة لوتس وســـيارة إيه زد. كان لديـــه فيراري، لكنه حطمها. (ثيو تســـتدير، وتحدق في الفضاء.) من قبل كنت أفكر ...

---

(١) بيلي هوليداي مغنية جاز أمريكية (١٩١٥-١٩٥٩) كان لها تأثير كبير على الجاز والبوب بسبب أسلوبها الصوتي القوي الذي ألهمته آلات الجاز. (المترجم)

ثيو : كان يصاب دائما بالذعر من السرعة، لم يقد سيارة بأكثر من ستين كيلو...

ليا : ... يذكرني بضفدعة ...

ثيو : ضفدعة؟

ليا : ... أقصد أنك لن تعرفي عندما تنظرين إلى ضفدعة إذا كانـــت نفس الضفدعة التـــي رأيتيها أم ضفدعة أخـــرى. (لتـــوم.) عندما تتحـــدث إليـــه، التلفزيون يطاردنـــا، هو حقيقة لابـــد أن يدلي بتصريح محدد ليوقف كل تلك التخمينات البلهاء.

ثيو : أي تخمينات؟

ليا : هل طالعت صحيفة "الديلى نيوز؟"

ثيو : ما بها؟

ليا : صورة لي وصـــورة لك على الصفحة الأولى يعلوهما عنوان بارز ...

توم : (لثيو، يسترضيها.) غير مهم ...

ثيو : (لـ ليا) ما هو العنوان البارز؟

ليا : «من تستأثر بليمان؟»

ثيو : كيف يجرؤون!

توم : لا تنزعجي، سأحصل على تصريح منه في الصباح ...

ليا : وداعا يا ســـيدة... (تتوقف، ضحكـــة قصيرة.) كنت ســـأناديك بالســـيدة فيلـــت لكـــن ... (تصحح مرة

أخرى.)... حسنا أنت كذلك، صحيح، أظن أنني أنا التي ليســت السيدة فيلت! سأعود في العاشرة نحو ذلك. (تخرج.)

تريد أن ترجع، أليس كذلك، أن يعود ......

توم : لماذا؟

ثيو : (تطلق ضحكة مريرة مقتضبة.) ألم تسمع ما قالته؟ إنها الوحيدة التي كان سعيدا معها!

توم : آه، لا أظن أنها تقصد ...

ثيو : (بعنف) ذلــك كل ما قصدت أن تقولــه، هناك نبرة فظة في كلام تلك المرأة. على الرغم من أنني أشفق لحالها، مع وجود ابنها الصغير.

(تغتاظ صامتة.) هل كان ذلك بسبب شعورها بالهزيمة؟

توم : بصراحة، أتمنى ذلك بشكل أو بآخر.

ثيو : ... ربمــا يعبر ذلك عن ضمير أخلاقي، هل ذلك ما تقصده؟

توم : حسنا، أكره أن يساورني الظن أن كل تلك الازدواجية لم تعن شيئا له.

ثيو : إلا إذا كان عقلــه مدمرا. ليمان الذي أعرفه لم يعد يســتطيع أن يصطاد الحيوانات أو أن يقود سيارات سباق أكثر من ...

توم : لا أعــرف، ربما أراد فقط أن يغيــر حياته، بأن يفعل

أشياء لم يفعلها من قبل، أن يكون شخصا مختلفا ...

ثيو : (يحدق لبرهة) ... ربما ليس مختلفا جدا.

توم : ماذا تقصدين؟

ثيو : (تتردد طويلا) لا أعرف لماذا مازلت أحاول أن أحميه. حاول أن يقتلني ذات مرة.

توم : أنت غير جادة.

(يظهر ليمان وهو يضع معدات السباحة تحت ضوء الشمس، يستنشق بعمق فوق ظهر مركب. تبدأ في السير نحوه.)

ثيو : أوه، نعم! لم أكن أعلم أن تلك المرأة موجودة حينئذ، لكن يتراءى لي الآن أن الوقت قد حان لأن يتزوجا أو على وشك الزواج. (وهي تتحرك صوب ليمان، ينزلق معطفها من فوق كتفيها فيبرز جسدها وهي ترتدي ملابس السباحة.) بدا غريبا جدا، غير حقيقي. ربما أبحرنا إلى مونتوك ليومين.

(يقوم ليمان بعمل تمرينات التنفس.)

ليمان : سحب الصباح تتصاعد من البحر دائما كأننا في أول يوم في العالم ...

«آلهة المحار وآلهة الزيارات ....»

(ثيو تدخل منطقة التمثيل الخاصة به.)



ثيو : (هامسة) استيقظ. هل تريد فنجانا من الشاي يا عزيزي؟

ليمان : عظيم. نعم! (يجثو، يضبط الراديو، يلتزم بالسكينة وهي تعد الشاي.) سأعرف أخبار الطقس. مايوه جديد؟ إنه مثير جدا.

ثيو : اشتريته لي من سان دييجو منذ سنتين.

ليمان : (يشهر مسدسا إلى رأسه إيمائيا) طاخ.

المذياع : (صوت عال) ... بسبب المد الربيعي الدافئ بشكل غير طبيعي يوجد العديد من أسماك القرش التي ظهرت في مونتوك ...

رُوي أن واحدا بلغ طوله من اثني عشر إلى أربعة عشر ...

(تتداخل خشخشة عالية، يقلدها ليمان، يغلق مفتاح الراديو.)

ليمان : يا للهول.

ثيو : آه، أمر سخيف، إننا بالكاد في مايو! انتبه لمياه الشاي، هه؟

سأغطس... (تنظر إلى المحيط.)

ليمان : لكن الرجل قال ...

ثيو : هراء. كنت أركب البحر هنا منذ نعومة أظافري، وكذلك فعل أبي وجدي، لا تظهر أسماك القرش حتى قدوم



شهر يوليو فما تزال المياه باردة جدا. تعال معي؟

ليمان : (يبتسم بامتعاض) أنا من نوع سكان البحر المتوسط، نحن عديمو الثقة ونكره الماء البارد : لكن اذهبي وسأنتظرك هنا وأسجل إعجابي بك.

ثيو : حبيبي، اسمح لي بأن أقول إن أسماك القرش يستحيل وجودها في هذا الوقت من العام، هه؟

ليمان : (ضحكة ممزوجة بالتوتر على هذا الكلام الشنيع) أعرف أنني ما كان يجب أن أقول ذلك، يا ثيو، لكن كيف تعلقين آراءك في صدر تقرير كهذا ... يبدو فحسب.. لا أعرف. متعصب.

ثيو : (بضحكة شديدة محددة.) كلام لا يحتاج إلى تعليق! أنت صعب المراس مثلي عندما تقتنع بشيء.

ليمان : اللعنة، أنت على صواب! وأنا أحب أحكامك! أنت عظيمة يا حبيبتي. (يميل بذراعه نحوها) اذهبي، سأحرسك.

ثيو : (بضحكة ودودة) أنت لا تحتمل أن أعارضك يا حبيبي، لكنه أفضل تمرين لشخصيتك.

ليمان : (يضحك معها، يشير للأمام.) حقا! إنها لشخصية بائسة. إلى المحيط! (يشيح عنها، يمسح المحيط بنظره.)

ثيو : (تميل لتغطس.) عند العلامة ... استعد ...

ليمان : (يشير ناحية اليسار) ما الذي يظهر هناك؟

ثيو : لا، أسماك القرش تتحرك دائما، إنه جذع.

ليمان : لا بأس، هيا، اقفزي.

ثيو : سأنزل بحذر! انتظر، سأقوم بتمرين الإحماء. (تتراجع لتتجنب الماء) انزل معي! انزل.

ليمان : لا أستطيع يا عزيزتي، إني أهاب الموت.

(تقف خلفه، تركض في المكان. ظهره في مواجهتها وعينه ترى شيئا أمامه ناحية اليمين، يفغر فاهه دهشة، عيناه تحدقان في فزع، تتبعان القرش المتحرك. تميل كي تهم بالركض.)

ثيو : حسن، واحد ...اثنان ... ثلاثة! (تركض وتأتي في مواجهته وفجأة يصيح عاليا ويوقفها عند الحافة.

ليمان : توقفي.

(يشير للأمام، تنظر، يكتسي وجهها بالفزع وعيناهما تتبعان السمكة.)

ثيو : يا إلهي، حجمه مهول! آآآه ...! (تتفجر دموع الفزع من عينيها، يأخذها في حضنه.)

ليمان : حبيبتي ... متى ستصدقين ما أقوله!

ثيو : آه، سأصاب بالغثيان ...!

(على وشك أن تتقيأ، تميل وتتدفع نحو الظلام. يخفت الضوء فوق ليمان، ويسلط على توم في غرفة الانتظار، يحدق أمامه، منصتا.

دائرة الضوء تتسع، ونجد أن ثيو واقفة بمعطفها الفرو.)

توم : كما يبدو فإنه أنقذك.

ثيو : نعم، حاولت دائما أن أفكر في هذا الأمر بتلك الطريقة، أيضا، لكن لابد أن أواجه كل شيء في الوقت الحالي. (تأتي لمقدمة خشبة المسرح، تؤلمها شجون الذاكرة.) لكن لم يكن صوته العالي جدا.

أقصد لم يكن...

(يسلط الضوء فوق ليمان بمعدات السباحة. بصوت فزع عال، يصيح...)

ليمان : توقفي! (يقف متسمرا ناظرا إلى القرش في الأسفل. (تعتيم فوق جسده.)

ثيو : ... حجمه أكبر من ...

(يسلط الضوء مرة أخرى على ليمان، وبشكل شبه متعجل، كما فعل في المشهد. يصيح ...)

ليمان : توقفي.

(تعتيم على ليمان.)

ثيو : أقول لك إنه كان على وشك أن يتركني لحال سبيلي.

توم : أنت غاضبة الآن يا ثيو، ولا أظن أنك حقيقة تصدقين ذلك. أقصد كيف استطعت أن تعيشي معه؟

ثيو : حسنا، انفصلنا مرتين بشكل جدي..وعشنا شهورا بدون... علاقة.

(ابتسامة يشوبها الحرج والتصميم تمتزج بغضبها المتنامي.) لا، اللعنة، لن أتملص من هذا السؤال. كيف استمرت علاقتي به؟ ربما أكون فاسدة يا توم. لم أكن فاسدة ولو مرة واحدة، لكن من يعرف الآن؟ هو ثري، صحيح؟ ويحظى بالاحترام بشكل كبير، فماذا كنت سأفعل والوحدة تحاصرني؟ لماذا يعيش الجميع معا طالما أنهم فهموا الذين يعيشون معهم؟ (ينتابها الشحوب فجأة.) ما الذي يجعلني أتلكأ هنا؟ تلك أكثر الأشياء غباء فعلتها في حياتي! (تمسك حقيبتها ساخطة.)

توم : أنت تحبينه يا ثيو. (يوقفها قسرا) من فضلك عودي للبيت، هه؟

وامنحي نفسك فرصة بضعة أسابيع قبل أن تتخذي قرارا؟ (صمت، ثم تكتم شهقة وهو يعانقها.) أعرف كم يبدو ذلك جنونا، لكن جانبا منه يهيم بك. أنا على يقين من ذلك.

ثيو : (تصرخ في وجهه فجأة.) أكرهه. أنا أكرهه! (ترتسم الصرامة على وجهها ويصطبغ بالشحوب، ويمسك ذراعيها ليهدئ من روعها.

(وقفـــة) لا بد أن أتمـــدد. أريد أن أعرف ماذا حدث وحســـب، طالما أنا موجودة هنا. مـــن المحتمل أن نرجـــع للمدينة في الظهيـــرة. أو ربما أرحل الآن، لا أعـــرف. اتصل بي في الحال لو أفـــاق. (تمر بيدها فوق حاجبها.) أشعر بأنني غريبة.

توم : متعبة فحسب، لنذهب، سأجد لك سيارة أجرة ...

ثيو : إنها مســـافة قليلة، أحتاج إلى الهواء. (تهم بالرحيل، تســـتدير) كم أن الريـــف مايزال جميـــلا هنا، ومن المدهش أنه لم يدمر!

(تخرج)

(وحيدا يقف توم محدقا في الفراغ، ذراعاه مطويان، يحاول أن يتصور حلا.)

إظلام.

(غرفة ليمان. هو نائم بعمق، يغط بهدوء في البداية. يتمتم.)

الممرضة : لماذا لا تأخذ وقتا مســـتقطعا؟ أنت تنجز الكثير من الأعمـــال وأنت نائم أكثر مما يقـــوم به الكثيرون منا ونحن مســـتيقظون. لا بد أن تصطاد معنا في بعض الأوقات. فذلك سيمدك بالاسترخاء.



(الممرضة تخرج. الآن يسود التوتر المكان، فيئن في نومه.

ليـو وثيو تظهـران على جانبيه، لكـن فوق منصتين عاليتين، كتمثالين لإلهتيـن، ترتديان مئزري مطبخ، تربطان شـعريهما بشـريطين نسـائيين. لكن شيئا ما يزعزع سـكونهما المميت حتى يكشـفهما ضوء حالـم كئيب، بلا حراك في تلـك اللوحة. بعد برهة طويلة تتحركان، متحفظتان كما في الواقع، كل منهما تُقيّس نفسها بالنسبة للأخرى.)

(على الرغم من الفكاهـة التي تبدو في تعليقاتهما، فطريقتهما في الكلام فيها شموخ إلى أقصى حد.)

ثيو : مـا كنت لأرفض مطلقا لو قمتِ بالطهي، أنا لا أتقن الطهي بتلك الدرجة.

ليا : (بكـرم) علـى الرغم من أنني أسـمع أنك تصنعين حلويات لذيدة.

ثيو : حلويات التفاح وفطائر الفاكهة، نعم، كعكة الزنجبيل المخفوقة بالكريمة. (تزداد ثقة) وبسكويت استثنائي للإفطـار، مع عصير قيقـب [1] حقيقي، على الرغم من أنه اضطر أن يمتنع عن أكل المقانق.

ليا : بوسعي أن أعد فطائر البطاطس واليخني.

(١) شجرة القيقب : هي واحدة من جنس الأشجار التي تزرع بهدف الاستفادة بظلها أو من أجل استخدامه في الزينة أو ما تفرزه من سائل أو عصير حلو المذاق بدرجة كبيرة.

ثيو : (مستنكرة) وكل ذلك يضاف إليه الفلفل الأحمر؟

ليا : بالطبع لا بد أن يضاف.

ثيو : (تشعر بالضياع، تستشعر الهزيمة) آه، يضاف! أخشى أنني لا أستطيع أن أفعل شيئا كهذا.

ليا : (تبتسم، تشدد على خصالها) آه، نعم، يضاف، يضاف بشكل حقيقي! والسمك الخاص بي خفيف كالريش. (تُشكل راحتيها كالفنجانين وتصفق بهما.) أبلل يدي وأربت بهما حتى يتشكل ما أريده تماما!

ثيو : (تناضل والضياع حليفها.) : إنه يحب اللحم المقدد المزجج الذي أعده.

ليا : نعم! ولساني الثائر. (فكرة ساطعة مفاجئة.) والكستر!

ليا : (بكرم) : يمكنك أن تعدي الكستر واللحم المقدد المزجج وسأعد أنا السمك واليخني ... والإضافات.

ثيو : لكن هل من الممكن أن أعد البعض من ذلك؟ ربما مرة أو مرتان في الشهر؟

ليا : نترك له ذلك القرار، وبمرور الوقت تستطيعين أن تعدي أكثر ...

ثيو : نعم! وأنت كذلك.

ليا : تماما! هل ستغسلين ملابسي الداخلية؟

ثيو : بالتأكيد. طالما أنه يخبرني بأكاذيبي.

ليا : حسن! إذن ستعرفين أكاذيبك وسأعرف أكاذيبي!

ثيووليا : اللعنة على القائمة!

ليا : (يملؤها الإعجاب) بالتأكيد لديك فصل دراسي!

(ليمان يضحك في نومه. عندما تقتربان معا لمقدمة خشبة المسرح عند الجبيرة وتعانق كل واحدة الأخرى بحرارة، وتمسك كل منهما ذراع الأخرى حتى فراشه. كل منهما تميل على ركبتيها في الجانب المقابل للفراش، وتسند كل منهما ذقنها فوق المفرش وتحدقان فيه من على الجانبين. يتحرك ...)

(يبدأ في اللهاث بقلق، كما لو أنه محبوس بنظراتهما التهديدية. الآن تمسك كل منهما يدا من يديه برقة، وترضع في إصبع من أصابعه.

يتلوى في فزع، يتوق إلى التنفس ويصرخ بشكل متقطع. المرأتان تقفان ثم تختفيان في الظلام.

(صرة قماش سوداء فوق الأرض لا تعوق السير، يتحرك، ويميل نحو حافة الفراش وينظر إليها. عندها تشتعل قداحة، تشعل سيجارة، الأب جالس ويسعل بهدوء، ثم يستنشق دخان السيجارة.)

الأب : غبي. أفغال تضر بالعمل.

(ينزلق ليمان من جبيرته، يلتقط قبعة بنما عريضة من فوق الأرض وبتحد يبول فيها بشكل إيمائي، ثم

بترقب عنف مؤكد يقدمهـا للأب الذي ينتزعها من يديه بغضب.)

الأب: (ينظر في القبعة) ماذا فعلت هنا؟

(ليمان يشعر بالحرج بعد أن وهنت نزعة التحدي عنده، ويمسك ركبتيه.

يحاول أن يقف خلف السرير، لكن الأب يقف ويبدأ في مطاردته، يجر خلفه قطعة القماش السوداء.)

(بصوت إيقاعي عميق يبدو كأنه يصدر من منتصف الكرة الأرضية.)

تبولت في قبعة أبيك يا سافل؟ يا شيوعي؟

ليمان: لا، لا، يا أبي! فطيرة اليقطين!

الأب: فطيرة اليقطين؟ تظن أنك ستكون أمريكيا؟ أنت؟ أمريكي؟

أضحكتني؟ (ينظر داخل القبعة.) كيف أقدم قبعتي للعملاء، مملوءة بالبول؟ أفعال تضر بالعمل!

ليمان: (يقوم بالإغواء) خمسون ألف دولار؟

الأب: وكيف ستعيدها لي؟ بول أكثر؟ (يقف بمساعدة عصا السير، يرفع القماش بكلتا يديه.) كل ما تستطيع أن تفعله التبول في قبعة أبيك؟ ضبطتك، سأوريك شيئا...! (يحاول أن يلقي قطعة القماش فوق رأسه ولكن ليمان يتفاداها.)

ليمان : من فضلك يا أبي، لا تفعل ...!

الأب : (يشــير إلى منطقة حوض ليمان) : لماذا يبرز فيك كل شيء؟

(يدخل ليمــان في جبيرتــه بصرخات ذعــر. يبدأ الأب فــي ضرب الفراش بعصــاه بضراوة الآن، وكل ضربة تصدر صوتا رنانا كما لو أنه يصدر من باطن الأرض...)

لا تعبــث مع أولئك الفتيــات الأمريكيات! كل أولئك الفتيــات الأمريكيــات العاهــرات! تصرفات تضر بالعمل!

(يصرخ ليمان في فزع بينما تدخل الممرضة مهرولة ... والأب يختفــى فــي الظلام ... يســعل، يجرجر قطعة القماش السوداء خلفه.)

ابتعد عن الســطح، فإنك لا تحظى بالاحترام، أيها الغبي؟

(الصوت الصادر من تحت الأرض يتوقف. الممرضة تحمل طاســة بها ماء وقطعة قماش، تتجه مباشــرة نحو الجبيرة. تمسك يده، تربت عليها وهو يئن.)

الممرضة : اهدأ الآن، هيا نعود، هيا يا عزيزي، عد ...

(يتوقف عن المقاومة ويفتح عينيه.)

ليمان : وآه، آه، يا له من حلــم، يا إلهي، كيف واتتني الرغبة في الموت.



المرضة : لا تبدأ في الشعور بالأسى على نفسك، تعرف ما يقولونه، موتك لن يؤثر فيهم.

ليمان : إني أختنق، هل يمكن أن تفتحي النافذة؟

المرضة : لا تفعل ذلك مجددا، لم أعد أحتمل.

ليمان : هوه؟ آه، أنصتي، أمر سخيف، لم أحاول التسلق، تلك الحبوب أصابتني بالجنون ...

المرضة : حسناً، ربما في وقت لاحق. لا بد أن أساعدك في الاغتسال الآن.

يطلب محاميك المقابلة ...

ليمان : ظننت أنه رجع إلى نيويورك. أبدو فظيعا؟

المرضة : (تمسح وجهه ويديه) : أنت تأخذ الأمر على محمل الجد. ستكون مختلفا لو هجرت هاتين المرأتين، لكن بإمكان الجميع أن يلاحظوا كيف أنهما لقيتا اهتماما شديدا ...

ليمان : اسمعي، أنت لا تمزحين معي يا لوجان، على الرغم من كل هذا البرود تعرفين أنك صُدمتِ.

المرضة : قم، اغسل أسنانك. (أثناء تنظيف أسنانه.) الصدمة الأخيرة التى تلقيتها بسبب عطل مكنستي الكهربائية ... (يضحك، ثم يئن متألما.) على الرغم من أنني كنت أتعجب من شيء واحد.

ليمان : مم كنت تتعجبين؟

المرضة : ماذا حدث لك كي تتزوج تلك المرأة؟ رجل وسيم مثلك؟

ليمان : هل كنت تتحدثين عن الثلج من قبل؟

المرضة : الثلج؟ آه، تقصد ... نعم، سنذهب لنصطاد الثلج عند البحيرة، أنا وزوجي وولدي. أنت تتذكر الكثير بشكل أفضل الآن.

ليمان : (يحـــدق) تزوجت من قبل كما تعرفين. لدي شـــعور بأن قضيتك سترفضها المحكمة بشكل مفاجئ، ولن يكون عليك أن تدخلي المحكمة مرة أخرى.

المرضة : إيـــاك أن تتكلم عن هاتين المرأتيـــن، لا يبدو أنهما وضيعتان بالنسبة لي.

ليمان : لديهـــا رائحة جذابة، رائحة ليـــا كرائحة الكانتالوب الناضج الوردي لدرجة التعفن، لم أشعر بتلك الغيرة من قبل، عرفت الكثير من النســـاء. وابتســـامتها - عندما أبرزت أسنانها بدت ملابسها منكمشة.

كان لدينا رباط أزلي - أقسم، لو أن مائة امرأة مرت بجـــواري فوق الرصيف فســـأعرف طقطقة كعبيها. حتـــى أنني كنـــت أحب أن أســـتلقي علـــى الفراش مســـتمعا لصوت طرطشة الماء في حمامها وبالطبع الاندساس في كاتدرائيتها الناعمة ...

المرضة : لديك أقذر عقل رأيته في رأس رجل متعلم.

ليمان : لا أســـتطيع أن أخســـرها يـــا لوجـــان. لا يمكن أن

أخسرها. لا يمكن أن أخسرها، لذلك تزوجتها. ولن تعرفي مزايا الزواج ما لم تكوني متزوجة بالفعل.

الممرضة : سأسمح بدخول محاميك، موافق؟ (يبدو فجأة أنه مقهور، فجأه يبكي.) إياك أن تبدأ الآن نوبة البكاء مجددا ...

ليمان : أولادي وحسب... لا يمكن أن تتخيلي كم أنهم يحترمونني...

(يثبت نفسه) لكن لم يعد أحد يحترمني، اللعنة!

(يدخل توم ويلسون)

توم : أتسمح لي بالدخول؟

ليمان : (بحيرة، يحاول أن يقرأ ما بخلد توم.) : أهلا! ظننت أنك عدت.

هل حدث شيء ما؟

توم : أيمكننا أن نتحدث؟

(تخرج الممرضة)

ليمان : لو تستطيع أن تتحمل ذلك. (يقطب.) أنت تحتقرني يا توم؟

توم : مازلت مترنحا، لا أعرف رأيي.

ليمان : بالتأكيد تعرف، لكن لا بأس. (بتكشيرته الساحرة ما الخطب؟



توم : كنت أناقش أمورا مع المرأتين...

ليمان : لا أحتمل الحديث عنهما، ظننت أنني أخبرتك، أم لا؟ أعطهما ما تريدان. أقصد في حدود المعقول.

توم : هذا هو المفيد، لست على يقين أنهما تعرفان ما تريدان.

ليمان : استمر في المحاولة، تريدان التخلص مني، صحيح؟

توم : آه، لاشك في ذلك، لكن... أعتقد بشكل حقيقي أن ثيو تحاول أن تجد سبيلا للعفو عنك.

ليمان : آه لا! هذا مستحيل!

توم : روحها عظيمة يا ليمان.

ليمان : ليست عظيمة هكذا، ربما يجب أن أعيش بقية حياتي على ركبتيي.

توم : ربما لا، لو كنتما واضحين مع نفسيكما وتوصلتما إلى تفاهم...

ليمان : أنا واضح تماما الآن، أنا أناني ابن سافل. لكنني أحببت الحقيقة.

توم : وما الحقيقة؟

ليمان : الإنسان إما أن يكون صادقا مع نفسه أو مع الناس، لكن ليس مع الطرفين. على الأقل ليس بشكل مفرح. كلنا نعرف ذلك، لكنه أمر لا أخلاقي أن نعترف

بذلك، أول قانون في الحياة هو الغدر، لماذا وضع هؤلاء الأحبار قصة قابيل وهابيل في صدر الكتاب المقدس؟

توم : لكن بالمناسبة الكتاب المقدس لا تتوقف عندهما.

ليمان : اللعنة؟ لا يمكن أن أتمسك بنكران الذات، أعذرني، لأنها لن تنفعني. كلنا أنانيون يا فتى، الأنانية بالإضافة للصلاة العرضية.

توم : إذن لماذا تقلق من بناء شركة من أكثر الشركات المسؤولة اجتماعيا في أمريكا؟

ليمان : الحقيقة؟ بحثت عنها منذ خمس وعشرين عاما، عندما كنت ما أزال أحاول إنكار إثمي. لكنني لم أعد أنكر أي شيء. ماذا يتحتم علي أن أقول لهما يا توم؟ ماذا علي أن أفعل؟

توم : هل أنا مخطئ؟ تبدو مكتئبا بشدة.

ليمان : أخشى أن أراهم مجددا. خصوصا بيسي. لا أحتمل التفكير فيها مطلقا ... انصحني، قل لي شيئا.

توم : ربما يجدر بك أن تقلع عن محاولة أن تكون قويا جدا.

(وقفة قصيرة)

ليمان : ماذا تريدني أن أقول، فأنا فاشل؟

توم : حسنا؟ أنت فاشل الآن، صحيح؟

ليمان : حسنا... لا، اللعنة. فاشل عاش حياة شخص آخر.

عشـــت حياة تعيســـة كما يبدو، إنها حياتي. ولست أســـوأ حالا من أي شخص آخر! الآن أجب عن هذا التساؤل، ولا تهزأ بي.

توم : حســـنا، لن أهزأ بك، أظن أنك قمـــت بإيذاء هاتين المرأتين بشكل فظيع.

ليمان : أنت محق.

توم : خصوصـــا ثيو، أظن أنك دمرت روحها. إذا أردت أن تهرب تلك المرة فأنت مُحكَّم، وســـأبدأ في مواجهة ذلك الأمر.

ليمان : وهبتهـــا حياة رائعة، ابنة رائعـــة، وجعلت منها امرأة ثرية. أقصد أي أذى تتكلم عنه بالضبط؟

توم : ليمان، أنت خدعتها ...

ليمان : (الغضب يباغته) ما كان يمكن أن تنال كل هذا لو لم أكن قد خدعتها!

أنت تعرف مثلـــي أن لا أحدا يمكن أن يعيش مع ثيو لأكثر من شهر من دون راحة! على الأقل عانيت أكثر مما عانت في هذا الزواج اللعين!

توم : (معترضا) إذن ...

ليمان : ... اســـتمع الآن، تريـــد الحقيقـــة المحضـــة؟ إني ألعن اليـــوم الذي وقعت فيه عينـــاي عليها ولا أريد غفرانها!

توم : لا تغضب...

ليمان : حسنا، هل قلت لك من قبل كيف تقابلنا؟ دعنا نوقف الحديث عن هذا الزواج كما لو تم في السماء! كنت عائدا من كورنيل، وعمري تسعة عشر عاما من البراءة، وقفت بجوار الطريق بحقيبتي، كان لابد أن أتبول. لذا تركت الحقيبة وذهبت خلف شجرة. ذلك

الوزير رأى الحقيبة وتوقف وقام بتوصيلي وانتهت بي الحال في نزهة إلى حديقة جمعية أودبورن، والمدهش أنني أقابل ابنته ثيودورا. لو أنني أخذت الحقيبة معي خلف الشجرة ما كنت قابلتها! والبشر الجادون لا يزالون يدورون باحثين عن الحكمة الأخلاقية للكون.

توم : على الرغم من مرورك بمشكلة أو مشكلتين فكان لديك أفضل قصة زواج قابلتها.

ليمان : (تنهيدة) أعرف. انظر، كلنا متشابهون، رجل يعيش في منزل ذي أربع عشرة غرفة، في غرفة النوم ينام مع فتاته الرائعة، في غرفة الجلوس يتمايل مع فتاة ماجنة، في المكتبة يدفع ضرائبه، في الباحة يجمع الطماطم، وفي القبو يصنع قنبلة ليفجرها.

ولا أحد مختلفا... ماعدا أنت، ربما، ألست كذلك؟

توم : أنا لا أجمع الطماطم... استمع، التلفزيون يذيع القصة ويحقر من شأن المرأتين. دعنا نستقر على اتفاق وننتهي من الأمر، ماذا تريد؟

ليمان : ما أردته دائما، كلاهما.

توم : كن جادا...

ليمان : أنا أعرف هاتين المرأتيـــن وما تزالان واقعتين في غرامي! إن ظنهما بحقيقة شعورهما يشوشهما. هل أبدو مجنونا؟

توم : هناك شيء آخر لا بد أن نناقشه...

ليمان : ما رأي ليا... هل قالت أي شيء؟

توم : إنهـــا مصدومة. لكن بصراحة أنا لســـت متيقنا من كونهـــا بعيدة عن الأحداث أيضا... لو كانت تلك هي النقلة التي أردت أن تقوم بها.

ليمان : (يتأثر بشدة) هاتان المرأتان، ما مقاسهما! أتمنى لو كنـــت وقعت صريعا! (البكاء يهدد بالعودة) آه يا توم، لقد فشلت!

توم : ... أنا آســـف، لكن يوجد أمر عاجل. تلقيت اتصالا هاتفيا من جيف هودليستون في السادسة من صباح اليوم. ســـمع الأخبار من الإذاعة. ســـيصر على أن يقيلك من مجلس الإدارة.

ليمان : مرفوض! أسســـت تلك الشركة وسأحتفظ بها! طلب شـــنيع! كان لجيف هودليستون علاقة بامرأة اختفت في برج ترمب وامرأتين في لوس أنجلوس.

توم : هودليستون؟

ليمان : عرض عليَّ أن يمنحني واحدة ذات مرة! هودليستون لديـه عشـيقات أكثر من عاهرات بيت مشـبوه في نيفادا!

توم : لكنه لا يتزوجهن.

ليمان : حسـنا! بمعنى آخـر، مـا انتهكته حقا هـو قانون النفاق.

توم : لسوء الحظ، إنه أحد القوانين المُفعَّله.

ليمان : نعم. لم يُفعَّل معي يا فتى، كما أردت أن أستخدمه!

(بيسـي وثيو تدخلان. ثيو تقف بجوار فراشه تحدق فيه بدون تعبير.

لا تحدق بيسـي فيه كثيـرا لأنها تقف في مواجهته. بعد لحظة طويلة...)

ليمان : (خوف يتلاشـى) يا إلهي، ثيو، شكرا لك ... أقصد لقدومك. لم أتوقع...

(تجلس في صمت شـديد. بيسـي تظل واقفة بعيدا والعنف يرتسـم على وجهها. أما هو فالخجل يعتريه بشكل واضح ومحرج...)

... أهلا، بيسي.

بيسي : أنا موجودة هنا من أجلها، أرادت أن تقول لك شيئا. (تهرع نحوها) أمي؟

(لكن ثيـــو لا تلحظهـــا، تنظر إلى ليمان وابتســـامة محددة غير مقروءة مرسومة على وجهها. بعد لحظة طويلة حرجة...)

ليمان : (ليملأ فراغ الصمت) كيف حالك اليوم؟ سمعت أنك كنت...

ثيو : (بفتور شديد تقاطعه) لن أراك مجددا يا ليمان.

ليمان : نعم، حســـن ... أعتقـــد أنه لا فائدة مـــن الاعتذار، تعرفين شخصيتي ... برغم كل ذلك أنا آسف.

ثيو : لا أستطيع أن أترك حياتي ملقاة على الأرض هكذا.

ليمان : سأتحدث عن كل شـــيء ترغبين فيه يا ثيو. اجعلي كلامك قاسيا كما ترغبين.

ثيو : أبـــدو مرتبكة لكنني لســـت مرتبكة، هنـــاك الكثير الذي... لا أريد الحديـــث عن الأمور التي تضايقني أكثر من ذلك.

ليمان : بالتأكيد أفهم.

ثيو : هـــل تتذكر ذلـــك المعلـــم الإنجليزي الشـــاب الذي هجرته زوجته ونصيحته لك بشأن العلاقة الزوجية الخاصة؟

ليمان : معلم إنجليزي؟

ثيو : قـــال : «اثنها حتى النصف»، «واربط حزاما مطاطيا حولها».

ليمان : (يضحـــك، لكنـــه يخـــاف قليـــلا) آه، بالتأكيد، جيم دونالدسون!

ثيو : كان الجميع يضحكون على ذلك.

ليمان : (ابتســـامتها جوفاءَ، ســـحره يائس) حســـنا! «اثنها نصفين و ...»

(يكمل كلامه بضحك يشوبه التوتر.)

ثيو : (تقاطعـــه.) كرهـــت ضحكك على هـــذا الموضوع، فأظهر جانبـــك الفظ والمثير للاشـــمئزاز. أُصبت بالخجل... منك ومن نفسي.

ليمان : (يوقفها عن الـــكلام) أدرك ذلك. لكن ذلك كان منذ زمن طويل يا ثيو...

ثيو : أنهيته بشكل صائب في الحال، لكنني ظننت أنني كنت عديمة الخبرة كي أحكم على شيء كهذا؟ لكنني كنت محقة، كنت فظا، رجلا بلا مشاعر ومازلت كذلك.

(ينظر ليمان إلى بيسي بقلق، يطلب العون أو تفسيرا لهذا الرأي الغريب.)

ليمان : أفهم ذلك . حســـنا، أظن أن حياتنا كلها كانت غلطة إذن. (بغضب لكن بســـحر متوثـــب.) لكنني أعددت مقومات الحياة الطيبة.

بيسي : من فضلك يا أمي، هيا نرحل، إنه يســـخر منك، ألا تسمعين ذلك؟

ليمان : (منفجـرا) ألا يجـب أن أدافع عن نفسـي؟ هل من المفروض أن أستلقي بإذعان وأن أُدمر؟ من فضلك استمري يا ثيو فكلي آذان صاغية، أفهم ما تقولينه، فلا بأس منه، فهو ما تشعرين به.

ثيو : (تبدو مسـترخية تماما) ماذا كان اسـم النهر الذي يبعد قرابة نصف ساعة من مبنى هيئة الكيمياء؟

ليمان : (مرتبك) ... هل جُننت؟ أي نهر؟

ثيو : الذي ذهبنا إليه ونحن عراة مع هؤلاء الجيولوجيين وصديقاتهم ...

ليمان : (يعاني النسيان لبرهة، ثم) آه، تقصدين ليلة التخرج!

ثيو : ... الحشـد كله كان يعوم عاريا عند الشـلالات... وصديقاتهم كن يضحكن في الظلام...؟

ليمان : (يَهّم بالابتسام، لا يستوعب) آه، بالتأكيد... كانت ليلة رائعة!

ثيو : باعـدت ما بيـن قدميك وركبت فـوق كتفك... هل حلمت بذلك؟

أتذكـر جـدارا صخريا أبيـض، يرتفع مباشـرة من النهر...؟

ليمان : هذا صحيح، ديفونيان[1]. كان مليئا بالمحار والعظام.

---

(١) ديفونيان هو العصر الجيولوجي الذى جاء بعد الحقبة السيلورية منذ ٤١٥ مليون سنة، وسميت الحفريات التي عثر عليها في منطقة ديفون بإنجلترا بهذا الاسم. (المترجم)

ثيو : نعم! مطبوعات بييتل، مسارات الدود، قشريات عمرها خمسون مليون عام مستقيمة مثل جدار معبد أبيض... ونحن نطفو حولها في الأسفل، كضفضعتين ملتصقتين في الظلام... رموشنا المبتلة متلامسة.

ليمان : نعم.

ثيو : كانت ليلة جميلة جدا.

ليمان : أنا مسرور لأنك تتذكرينها على هذا النحو.

ثيو : نعم، كما تعلم أنا لست من المتطهرين، إنها ببساطة مسألة ذوق، تلك الليلة كانت ملهمة.

ليمان : حسنا، لم يكن لدي ذوق مطلقا، كلانا يعرف ذلك. لكن لن أكذب عليك يا ثيو، الذوق بالنسبة لي هو ما تبقى من الحياة بعدما لا يستطيع الناس أن يتكاثروا.

ثيو : كان لا بد أن تخبرني بذلك منذ ثلاثين عاما.

ليمان : لم أكن أعرف ذلك منذ ثلاثين عاما.

ثيو : وهل تتذكر ما قلته عندما سبحنا هناك؟

ليمان : (يتردد) : نعم.

ثيو : لا، أنت لا تتذكر.

ليمان : قلت حينئذ، «ما الذي يمكن أن يفرقنا؟»

ثيو : (في لحظة اندهاش وارتياح) نعم. وهل كنت تقصد ذلك حينئذ؟ أم كنت ساذجة لأنني صدقتك؟ من

فضلك قل لي الحقيقة.

ليمان : (يتأثر) نعم، كنت صادقا.

ثيو : متى بدأت خداعي؟

ليمان : من فضلك لا تتمادى أكثر من ذلك...

ثيو : أحاول أن أحدد بدقة متى انتهت حياتي. هذا كل ما أعرفه، كان ذلك منطقيا، أيعقل ذلك؟

ليمان : أطلب عفوك، من سويداء قلبي يا ثيو.

ثيو : متى ماتت بيلي هوليداي؟

ليمان : (حائر) بيلي هوليداي؟ آه، لا أعرف، منذ عشرة أو عشرين عاما؟ لماذا؟

(تصمت، تحدق في الفراغ. يجهش في البكاء فجأة لرؤيته معاناتها.)

آه، يا ثيو، أنا آسف... (تظل محدقة) لماذا تريدين أن تعرفي شيئا عن بيلي...؟

بيسي : لا بأس يا أمي، هيا نغادر، هه؟

ليمان : بيسي، أعتقد أنه من الأفضل لو أخرجت ما بداخلها...

بيسي : لا أحد مهتما بما تعتقده. (لثيو) أريد منك أن ترحلي الآن!

ليمان : ترفقي بها!

بيسي : أنت تتحدث عن الرفق!؟

ليمان : من أجلها، ليس من أجلي! لقد أحبتني! ألا تسمعين ما تحاول أن تقوله؟

بيسي : كيف تستمعين لهذا اللغو!

ليمان : كيف تجرؤين! أعطيتك مقوّمات الحياة الرائعة يا بيسي!

بيسي : ليس لديك شيء تقوله أكثر من ذلك، أنت هراء!

ثيو : من فضلك يا عزيزتي! انتظري في الخارج لبضع دقائق يا بيسي، (ترى إصرارها، فتخطو للخارج مزقت فؤادها. (يشيح بوجهه ليتجنب البكاء.) هل كانت هناك بعض المتعة في خداعي؟ ماذا كان الهدف من ذلك؟ لماذا لم تخبرني بأمر تلك المرأة؟

ليمان : حاولت أن أخبرك، مرات كثيرة، لكن... ظننت أنه يبدو ضربا من الجنون، لكن... لم أكن لأحتمل فقدانك.

ثيو : لكن (فجأة، على وشك أن يصيبها غضب هستيري.) كنت تكذب علي كل يوم خلال التسع أو العشر سنوات تلك، وقبل ذلك كنت تكذب على نساء أخريات، معقول؟ ما الذي يمكن أن تفقده؟

ليمان : (مصمم على ألا يجفل)... سعادتك.

ثيو : سعادتي!

ليمان : أنا أحبك.

ثيو : تحبني.

ليمان : (يجرؤ، بعد تـــردد) الحقيقة فقط هـــي التي يمكن أن تســاعدنا يا ثيو أظن أنك كنت أكثر ســعادة في ســنوات زواجنا الأخير أكثر من أي وقت، تشــعرين بذلك، صحيح؟

(لا تُعارض.)

وأظن أن الســبب هو أنني لم أصُب بالملل أبدا من وجودي معك.

ثيو : أصابك الملل مني؟

ليمان : مثلمــا أصابك الملل مني يــا عزيزتي... أنا أتحدث كما تعرفين، ملل الزواج العادي فحسب.

(لكنهــا تبــدو بليــدة تجاه كلامــه، لذا يحــاول أن يفسر.)

تعرفيــن، مثلما كان يحدث على العشـــاء عندما كنت أكرر قصة ما ســمعتيها ألف مــرة ...؟ كقصة جدي الذي فقد ثلاثة أصابع تحت تروللي شارع تسعة...؟

ثيو : لكنني أحببت تلك القصة! لم يصبني الملل منك أبدا ... قصصك غبية كعهدي بها.

ليمان : (الآن تبــدو معانـــدة) ثيو، أصابتك بالملل ليســت خطيئة! مثلما أصابنـــي الملل عندما أخبرت الناس عشـــرة آلاف مرة أن – مثلا – (ضحكته الســاحرة)

... لأنــك كنتِ ابنة وزير فلم يكن مســموحا لك بأن تتسلقي شجرة كي لا تظهر ملابسك الداخلية؟

ثيو : (تقاوم فتنته بصرامة) لكنني أظن أن الناس يهتمون بالحكايات الخاصة بمجتمع اختفى تماما! كان لتلك القصة أهمية تاريخية!

ليمان : (بمعاناة شديدة) لكن يا حبيبتي تلك القصة محفورة في لحمي!

... وأناشــدك بألا تجعلــي تلك المشــكلة معضلة أخلاقية. إنها مسألة ملل منزلي فحسب، إنها الحياة يــا عزيزتــي، ولا توجد امرأة أخــرى أعرفها لديها الأمانة والقوة لتقبل الحياة كما هي، هذا لعلمك!

ثيو : (وقفة، تصاب بالتشــوش، تجاهد بيأس كي تفهم.) ولم قلت إنني كنت أسعد في السنوات الأخيرة؟

ليمان : لأنك ترين قناعتي، وكنت قانعا ...

ثيو : لأنها كانت ...؟

ليمان : لأنك كلما كنت تظهرين بملابســك الداخلية مجددا فكنت أجدك جذابة، وكان لدي يقين بأن تلك القصة سأسمعها حتى أموت.

ثيو : ... لأنها كانت تنتظرك.

ليمان : حقيقي.

ثيو : لم يصبك الملل منها أبدا؟

ليمان : أوه يا إلهي، نعم! أحيانا أكثر مما أكون معك.

ثيو : (بفضـــول متفائل ســـريع وحاد.) : حقيقـــي! وماذا يحدث إذن؟

ليمان : ثم أشكر حظي لأنك رجعت. أعرف كم أن هذا الأمر صعب على الفهم يا ثيو.

ثيو : لا، لا ... أظن أنني كنت دائما أعلم ذلك.

ليمان : ماذا.

ثيو : أنت كالبطلينوس[1] البحري العملاق.

ليمان : بطلينوس؟

ثيو : تنتظـــر في القاع لمـــا يقع من المحيـــط في فمك، أنت مخلوق الاشـــتهاء، وذلك الاشتهاء تسميه حبا. أنت وحـــش من الوحوش،حتى أظنـــك تعرف ذلك، صحيح؟ بوسعي أن أشفق لحالك يا ليمان. (تستدير لتغادر.)

آمل أن تُشفى تماما. كل الأمور واضحة للغاية الآن، ومسرورة لأنني بقيت.

ليمان : مدهش، لحظة تَكشُف غموض الحياة، تظنين أن كل الأمور أصبحت واضحة.

ثيو : لا أرى أي غموض، لم تحب امرأة قط!

ليمان : إذن فسري لنفســـك كيف أن ذلك البطلينوس عديم

---

(١) البطلينوس هو حيوان من الرخويات أو السمك الصدفي من ذوات المصراعين ذات الشكل البيضاوي. (المترجم)

القيمة والمشاعر قد استطاع وحيدا أن يجعل امرأتين مختلفتين أن تنعما بأسعد أيام حياتهما!

ثيو : حقا! (تضحك ضحكة أقرب إلى الصرخة) حقا وبشكل حقيقي (تتصنع السعادة!)

ليمان : (يخرج من جبيرته، غاضبا، تظل محدقة في الجبيرة.) ... في الواقع، لو كانت عندي الجرأة لأعترف بالحقيقة الغبية كلها، فالشخص الوحيد الذي عانى في التسع سنوات الماضية تلك، كان أنا!

(زئير ذو صدى هائل يهز المسرح، زئير أسد؟ الضوء يُسلط على بيسي وهي تنظر للأمام خلال نظارة ميدانية، ترتدي شورتا وقبعة واقية من الشمس وجاكيت كاكي سفاري.)

ثيو : أنت تعاني؟ أوه يا إلهي ارحمنا!

(تحاول أن تحافظ على ضحكتها المريرة، وتتحرك صوب بيسي، وعندما تدخل منطقة بيسي تخبو ضحكتها، وتأخذ قبعة من سلة التنزه وترتديها.

في نفس الوقت ينبثق ليمان من جبيرته ويظل في رداء المستشفى، يتبع ثيو. لا يوجد قطع للحوار.)

ليمان : ... ماذا ستسمي ذلك إذن، أن أنظر إلى وجهيكما البريئين القانعين، بعدما اكتشفت الخواء الذي بُنيت عليه سعادتكما؟ أليست معاناة؟

(يأخذ مكانه بجوار المرأتين، ينظر للأمام في نفس



الاتجاه، يحجب عينيه دون قطع للحوار...)

بيسي : (تنظر خلال نظارة ميدانية.) يا إلهي، هل سيعتليها مجددا؟

ليمان : لا يطلقون عليه ملك الغابة عبثا يا حبيبتي.

بيسي : مسكينة، كم هي صبورة.

ثيو : (تأخذ النظارة منها) : آه، يا عزيزتي، ليست صبورة فحسب.

بيسي : (تفرش مفرش منضدة ومحتويات النزهة على الأرض) : لكنها مرة واحدة كل ستة أشهر، صحيح؟

ليمان : عرفنا أنها مرة واحدة.

ثيو : (تساعد في وضع محتويات النزهة) آه لا، إنهما زوجان مخلصان ورائعان.

ليمان : لا، يا عزيزتي، لديهم إناث محظيات كالحريم، تضعين في حسبانك طيور اللقلاق.

بيسي : (تقدم له بيضة أبي؟

ليمان : (يجلس، يأكل بسعادة) أحبكما وأنتما تلبسان هاتين القبعتين، تبدوان كسيدتين نبيلتين في رحلة سفاري.

ثيو : (تتمدد على الأرض) الهواء هنا! الصمت. تلك التلال.

بيسي : شكرا لأنك أخذتني معكما يا أبي. أنا آسفة لأن هارولد اضطر لأن يلقي تلك المحاضرات. لن أنسى تلك الرحلة. لماذا تبدو حزينا؟



ليمان : أنا؟ لا.

ثيو : إنه الشعور بالذنب فحسب.

ليمان : (ينتبه) الذنب؟

ثيو : كان بعيدا عن المكتب الأسبوع كله.

ليمان : (يشعر بالراحة) آه. حقيقي، مع ذلك لماذا ننظر إلى أن الزواج من امرأة واحدة هو أسمى شكل من أشكال العلاقات العائلية؟

ثيو : حسنا، إنه يدل على شدة الحب.

ليمان : ما رأيك يا بيس؟ كان لديك العديد من الأصدقاء قبل هارولد، صحيح؟

بيسي : حسنا... نعم، أظن أنه يعني الكثير للمرأة.

ليمان : لكن كيف يجعله أسمى أشكال العلاقات العائلية؟

ثيو : الزواج من امرأة واحدة يقوي رباط العائلة لكن العلاقات العشوائية تقوضها.

ليمان : لكن إذا كان أحدهما يتعامل بعصبية تجاه الآخر، فما فائدة تقوية رباط العائلة؟

ثيو : حسنا، لسبب واحد وهو أنه يعزز الحرية.

بيسي : (تندهش) الحرية؟ حقيقي؟

ثيو : العائلة تقوم بضبط أفرادها، عندما تكون العائلة ضعيفة فلا بد أن تتدخل الجهات الرسمية، لذا كلما كانت العائلة قوية قل تدخل الشرطة. ولهذا



السبب فإن الزواج من امرأة واحدة أسمى أشكال العلاقات العائلية.

ليمان : يا للهول، هل قمت بتحليل ذلك الآن؟ (لـ بيسي) أليست رائعة؟

سأعطيها أعلى درجة!

ثيو : (تفرح متألمة) آه، كفى.

ثيو : كان علم اجتماع أبيك يشبه أخلاقياته، ليس له وجود.

ليمان : (يضحك، لـ بيسي) أمك امرأة كلاسيكية، تعرفين السبب؟

بيسي : (تضحك بغبطة) لماذا؟

ليمان : لأنها دائما واضحة وثابتة المبدأ و...

ثيو : ... بالأحرى مملة.

(يقهقه بحرارة، يضرب بيديه فوق رأسه بإعجاب.)

بيسي : أنت لست مملة! (تندفع لتحضن ثيو) قل لها إنها ليست مملة!

ليمان : (يحضن ثيو وبيسي) من فضلك لا... أقسم إنني لم أقصد أنها مملة!

ثيو : (تتألم حتى تغرورق عيناها) حسنا أفضل أن أكون مملة وواضحة أكثر مما أكون لطيفة وغبية!

بيسي : لكنني لا أظن أنه قصد...

ليمان : من طلب منك أن تكوني لطيفة؟

ثيو : (بنظرة معذبة) كنت أتمنى أن أعرف كيف أُمتعك!

ليمان : أقسم بالله إنني لم أشعر بالملل يا ثيو! الآن من فضلك لا تتمادى في ذلك.

ثيو : عيناك تحجرتا منذ أن وطئت أقدامنا تلك القارة البائسة!

ليمان : (يشعر بالذنب، فيمد يدا مرتبكة ليحضنها) أنا أحب تلك الرحلة، ولكوني معكما...! ثيو، من فضلك، أنت تشعرينني بالذنب الآن!

(زئير الأسد يقطع الحديث، وكلهم ينظرون للأمام مرتعدين.)

بيسي : هل هو قادم إلى هنا...؟ أبي! إنه يركض!

صوت : (صوت مرشد من بعيد في مكبر الصوت.) على الجميع أن يعودوا إلى السيارة فورا!

ليمان : أسرعا! (يدفع المرأتين للأمام.)

بيسي : (أثناء الخروج) أبي، تعال ...!

ثيو : (تشعر بأنه لايزال في الخلف) ليمان ..؟

ليمان : اذهبي! (يدفعها، لكنه يستدير.)

الصوت : عد إلى السيارة فورا يا سيد فيلت!

(زئير الأســـد، لكنه أقرب الآن. ليمـــان في مواجهة المقدمة والأســـد، يتأهب ليركض هربا لكنه يتشبث بمكانه.)

عد إلى السيارة يا سيد فيلت!

(زئير آخر).

ليمان : (عيناه على الأســـد، يصيح في اتجاهـــه في ابتهاج ممزوج بالخوف.)

أنا ســـعيد، نعم! لأنني متزوج من ثيـــودورا وأنجبت بيسي... نعم، ومتزوج من ليا أيضا!

(زئير آخر!)

بيسي : (من على بعد) : أبي، من فضلك تعال إلى هنا!

ليمان : ولأنني عملت جبلا مـــن الأموال... نعم، وليس لدي قضايا معلقة!

بيسي : (من على بعد) : أبي ...!

ليمان : (يقذف بكلماته تجـــاه الحيوان المقترب، لكنه يجثم ويستعد للفرار.)

... ولأنني لم أضحِ يوما بأشياء لم أؤمن بها، ويشمل ذلك الزواج من امرأة واحدة، نعم! أيها الأسد كل منا يحب حياته، كلانا أنت، وأنا!



(مايـــزال جاثما كي يركض وعيناه شرســتان، يرقب الأســـد المقترب، الذى يزأر، كما نسمعه نحن الآن، زئير تغير إلى هدير أجش مسترخ، ثم يخفت، ويعتدل ليمان واقفا بحذر، ويستدير بانتصار صوب المرأتين الواقفتين خارج خشبة المسرح.

وبيســـي تطير داخله وتلقي بذراعيهـــا حوله بارتياح منتش ثم تقبله.)

بيسي : (تنظــــر للأمام) أبـــي، لقد عاد أدراجـــه! عجبا لما تفعله؟

(تدخل ثيو.)

ثيو : عاد أدراجه! (لـ ليمان) كيف فعلت ذلك؟ (لـ بيســـي) هل رأيت كيف توقف، ونظر إليه واستدار؟ (لـ ليمان) ماذا حدث؟

ليمان : أظـــن... أدرك الأســـد أنني تخلصت مـــن ذنبي يا حبيبتي؟

ثيو : ماذا؟

ليمان : (يحدق في دهشـــة) زئيـــره جعل أســـناني تصطك كالفولـــت وفجـــأة، وكان واضحـــا أنه... (يســـتدير نحوها) كنت دائما سعيدا معك يا ثيو!

أنا فقط لم أستطع أن أقبلها إلى حد ما! إنها معجزة، أنا رجل سعيد ولن أعتذر عن سعادتي مرة أخرى!

ثيو : (بدموع الامتنان، تقبض على يديها معا بخشوع) آه يا ليمان!

(تندفع لتقبله) آه يا عزيزي!

ليمان : (لايزال يعتلي موجته، يمد يديه لها) يا لنا من صديقين قديمين يا ثيو! اتفقنا! (تضحك وتصافحه بشكل رجولي.)

يا لك من امرأة، كم أن وجهك متجهم وجميل!

بيسي : آه، يا أبي، ممتع للغاية! أنت رائع! (تبكي)

ليمان : كم أننا مازلنا معا، هل تدركين حتمية أن تحبني كي تفهمني؟

حسنا أنا أحبها أيضا! أنا قطعا أهيم بتلك المرأة يا بيسي!

ثيو : آه، هذا ما كنت أراه يحدث أحيانا! (ضحكة مصطنعة) بالطبع ليس مع أسد، لكن بالضبط وميض الضوء هذا ...!

ليمان : المستقبل كله واضح أمامي الآن! لن ننزوي في خريف عمرنا خجلا، نمضي قدما! سأبني كوخا صغيرا متفردا في الكاريبي وسنملؤه بكل الروايات الإنجليزية الضخمة التي لم نفرغ من قراءتها ...

بالإضافة إلى بروست[1]! وسأشتري دراجتين بهما سلتان صغيرتان فوق قضيب المقبض كي نضع فيهما المشتريات ...

ثيو : أعرفها، أعرفها!

ليمان : ... وسأكون معك كل يوم، ماعدا أسبوع أو أسبوعين في الشهر سأكون في مكتب إليميرا!

بيسي : رائع يا أمي!

ثيو : شكرا أيها الأسد! شكرا يا أفريقيا! (تستدير نحوه) ليمان؟

ليمان : (يخرج من المشهد ذهنيا) ... هه؟ نعم!

ثيو : أنا خُلقت من جديد!

(تحوطه بذراعيها حوله، تدفن وجهها في رقبتها. ينظر للأمام وألم شديد يعتصره.)

بيسي : كانا أروع أسبوعين في حياتي! أحبك يا أبي!

(تندفع نحوه وتحوطه بذراع، وذراعه الأخرى حول ثيو.

ترقرق الدموع في عينيه.)

بيسي : أتبكي؟

---

(١) مارسيل بروست روائي فرنسي عاش في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن ٢٠ من أبرز رواياته البحث عن الزمن المفقود التي تتألف من سبعة أجزاء. (المترجم)

ليمان : مدهش يا حبيبتي ... بشأن حظي. هيا، من الأفضل أن نرجع.

(يســتدير معهما نحو مؤخرة خشبة المسرح متجهما، الأضــواء تتغير، تــزداد خفوتا، تســيران نحو الظلام بينما يظل هو في الخلف. وحيدا، لا يزال مرتديا رداء المستشــفى، يســتدير للأمام ببطء، الأضواء تنتشر وتكشف الممرضة وهي جالسة بالقرب من الفراش.)

الممرضة : (للجبيرة، بالضبط كذي قبل) : الشيء الوحيد الذي لــم أفهمه هو لمــاذا يتزوج رجل وذكــي مثلك تلك المرأة.

(يحدق ليمان أمامه بينما ليا تدخل، معزولة في بقعة الضــوء، ترتدي معطف فرو، بالضبط كما حدث في الفصل الأول عندما كانت على وشك أن تقوم بإجراء عملية إجهاض. تظل الممرضة ثابتة في المحيط.)

ليا : نعم، أعتقــد أنها من الممكن أن تنتظر أســبوعا أو أكثر، لكن ...

حقيقي يا ليمان أنت تعلم أنك لن تهجرها.

ليمان : ألغي العملية، مفهوم؟ سأخبرها غدا.

ليا : تخبرها بماذا؟

ليمان : (بالكاد يلتقط أنفاســه) لن أبرر لك. أنا أعيش حياة واحدة!



سأطلب منها الطلاق.

ليا : يا إلهي، ليمان!

ليمان : (يجذبها نحو ذراعيه) لماذا نحن مرتبطان جدا؟ هل تشعرين بذلك؟

ليا : أنا لا أفهم. يبدو أنني عرفتك منذ قديم الأزل. لكن استمع، أعرف ما يربطك بها ...

ليمان : أنا أثق بك ... أود أن أخبرك بشيء. (وقفة يشوبها حذر مطلق) ذات مرة حملت مني فتاة رائعة كنت أعرفها منذ وقت طويل.

أخجل من ذلك، أقنعتها بأن تحتفظ بحملها. كنت مجنونا بها. لكن كان علي أن أنهي العلاقة أو أفقد زواجي. كُنت معذبا. بعد سبعة عشر عاما كنت أنهي إجراءات سفري على شركة بان أمريكان في مطار لوس أنجلوس، ورأيت هذا الشاب أمامي في الطابور. صورتي المنسوخة، واضحة تماما. عندما قدم تذكرته على الكاونتر نطق الموظف اسمه، بالتأكيد كان اسم أمه. جلست في مواجهته في منطقة الانتظار. شعرت بالشلل في أوصالي.

ليا : لماذا لم تُقدم نفسك له!

ليمان : حسنا، كان ملبسه ينم عن فقره ... وكانت نظرته تعيسة. كان من الممكن أن يشعر بأنني خدعته. كنت متيقنا من كراهيته لي...

(وقفة، يقبل يدها.) من فضلك احتفظي بهذا الطفل. موافقة؟

وامكثي في البيت، وضعي قدما فوق قدم، أتسمعينني؟ لا مقابلات غرامية.

ليا : لكن كف عن قلقك بشـــأن أي رجل آخر، اتفقنا؟ من فضلك، لا يروق لي أن أكون موضع الشكوك.

ليمان : (غضب ســـاخر يعتصر خديه) ضعي نفسك في دير الراهبات حتى أرجع، أتسمعينني؟

ليا : كلام جاد هذا؟

ليمان : إنه كلام جاد. سأطلب منها الطلاق.

ليا : ســـاورني هاجس مفاجـــئ بأنني لســـت متيقنة من رغبتي في أن أكون أُما! هل تظنني كذلك؟

ليمان : نعم، أظنك كذلك!

(يقبلهـــا. يضحكان. يســـتدير ليغادر، تمســـك يديه وتضغط عليهما بيديها ونظرة خشـــوع تملأ وجهها، وترفع وجهها للسماء...)

ليا : يارب! امنحني حظا موفقا! (لـ ليمان مباشرة) لماذا كل شيء خطير جدا! (تقبله بعنف)

إظلام

(تظهر ثيو وهي تتمشـــى، تخبئ شيئا خلف **ظهرها**، وتبتســـم بشـــكل محبب. يظهر ليمـــان. يبدو **مهيبا**،



مستعدا للمواجهة.)

ليمان : عزيزتي ثيو... لابد أن أخبرك بشيء ما ...

ثيو : (تقدم جاكيت كشمير) عيد ميلاد سعيد!

ليمان : (يجفل) هه؟ لكننا لسنا في شهر يوليو، صحيح؟

ثيو : لكنه كان باهظ الثمن فاحتجت مبررا. (تساعده في ارتداء الجاكيت) هكذا، قم بتسويته. إنه إيطالي. ليس مقاسه كبيرا، صحيح؟

(تتراجع قليلا بإعجاب.) رائع، انظر في المرآة!

ليمان : إنه جميل، شكرا لك يا عزيزتي. لكن اسمعي، لا بد أن أقول ...

ثيو : يا إلهي، ليمان، أنت رائع بحق! (تشبك ذراعيها بذراعيه وتمشي بطريقتها المتثاقلة) لدي مفاجأة أخرى، حصلت على تذكرتين لبلانشين[1]. وحجزت منضدة في مطعم لويجي بعد ذلك!

ليمان : (بتجهم يستجمع قواه، ويبدأ في الاستياء من إعجابها.) لدي خبر أود أن أقوله لك يا ثيو، لماذا تصعبين عليّ الأمر!

ثيو : ماذا. (كأنه شُل) ما الأمر؟ هل حدث شيء ما؟ (تنتبه الآن) ليمان!

---

(١) جورج بلانشين مصمم وراقص باليه، يعتبر من أشهر الراقصين فى الباليه الأمريكي (١٩٠٤-١٩٨٣) ومن أهم ما صممه باليه كسارة البندق. (المترجم)

(تسأل) هل أجريت فحصك الطبي الدوري!

ليمان : (على وشك أن ينفجر) لا، ليس الأمر هكذا!!

ثيو : لماذا اسود وجهك؟ من فضلك، ما الأمر، تبدو فظيعا!

(يبتعد عنها ومن اهتمامها الفظيع ويترنح مواجها المقدمة. تظل في الخلف وتنادي عليه من على بعد.)

ابن عمي ويلبر ما يزال يعمل مديرا في مستشفى ماس، يمكننا أن نذهب إلى هناك معا...! من فضلك يا حبيبي، لا تقلق من أي شيء ...! ما الأمر، هل ستخبرني؟

(يعاني من إعاقة كاملة، في الماضي وفي الحاضر (يستنشق الهواء بعمق، ويعوي عواء طويلا عاصفا، ذراعاه مرفوعتان، يتوسل للسماء طالبا الرحمة. نتيجة لذلك، تخرج من مجال تفكيره على الفور، يخبو حماسها وتذهب نحو الظلام، ويبقى وحيدا مرة أخرى.)

ليمان : (لنفسه، يواجه المقدمة) أفتقد الشجاعة. تلك هي القصة كلها. أفتقد الشجاعة!

(سرير متحرك في مستشفى. ليا ممددة فوقه. مستندة إلى مرفقيها.)

ليا : ها قد وصلت!

ليمان : (بابتسامة عريضة) بالطبع وصلت!

ليا : هل سـمحوا لك برؤيته؟ إنه ولـد! وهل لاحظت أنه يشبهك؟

ليمان : لا، لا يشبهني أنا، يشبه أبي بعد الحلاقة. (يقبلها.) يا لجمال عينيك، وجسدك كتمثال عاجي براق.

ليا : كنـت أتمنى أن تأتي. (تقبل يده) أشـكرك بالنيابة عنه يا حبيبي.

أنا أحبك. وأفهم تماما لماذا لا تستطيع أن تُطلّقها، لا بأس.

حقيقي. في الواقع، الأمر به سـخرية، جعلتني أفهم معنى الالتزام الحقيقي.

ليمان : أنا أحبك يا ليا. لديك هبة القبول الرائع ...

ليا : هل سـتأتي لترانا، صحيح؟ متى ستسـتطيع ذلك؟ (يغطـي وجهـه.) لا تبتئس، يمكننـا أن نعيش حياة رائعة! ماذا أسميه؟

ليمان : (يخفض يديه، بآلام الضياع) ملأت الاستمارة لك.

ليا : (تضحك) ملأتها؟

ليمان : كتبت اسم بنيامين، موافقة؟

ليا : لو كان مـن اقتراحك فهو جميل. ماذا عن الاسـم الثاني؟

أقترح أن تكتب اسمي، هه؟

ليمان : أود أن أضيف اسم فيلت، في الواقع، أضفته.

ليا : فيلت! كيف سأفسر ذلك له؟

ليمان : (يتردد ...ثم بابتسامة يشوبها التوتر...) أعرف أنك لا تدينين لي بشـيء يا حبيبتـي، لكنهم قالوا لي إن رجلا كان يتردد عليك.

ليا : طبيـب، كان يزورني زيارات قصيـرة، كنت أعرفه، لكن بصدق ... كان شعوري سيزيد لو أنهيت العلاقة بالزواج. ربما لا، لكن قطعا ربما، أقصد يوما ما.

ليمان : مع من؟

ليا : لا أعرف! عندما شُـفيت من تناول المخدر، ظننت، ربما لو أنني تزوجت فربما نكون مذنبين، وسـيمهد لك الطريق.

ليمان : لن أحاول حتى أن أفهم هذا الكلام.

ليا : (تضحـك، فجـأة تبكـي.) ... اذهب مـن فضلك يـا عزيـزي، لا أحتمل ذلـك... تعال بعـد ذلك لو اسـتطعت، أو أكتب لي خطابـات أو اتصل بي وقل شيئا مضحكا!

ليمان : أوه يا حبيبتي، يا حبيبتي ... لا بد أن نعيش معا!

ليا : (غاضبة) لكنك لا تستطيع! لماذا تستمر في ترديد ذلك!

ليمان : ما رأيك لو اســتأجرت لك غرفة في وسط المدينة، وربما أشتريها لك هنا، ويمكنك أن تعيشي معه فيها وترسمين؟ ما رأيك؟ سأفتح لك حسابا بنكيا...

ليا : لماذا لا نترك ذلك للظروف؟

ليمان : بمعنى؟

ليا : تعال كلما تســتطيع، وســنقابلك أحيانا في المدينة عندما أذهب إليها...

ليمان : ... قلبي سيتوقف... التيار يجرفك!

ليا : (بشــكل مباشــر وقاس.) ... لكن كيف أتعهد بذلك وأنت تأتي بين حين وآخر... أقصد عاجلا أم آجلا، ألن يقلقني ذلك الأمر؟ أنت رجل مسكين، أنت مشتت جدا... أم تظن أن قطار العمر قد مضى بك بعيدا؟

(صراع شديد، يتحاشى نظراتها. تداعب وجهه.)

حســنا، لا تكتئب، نحن كما نحن... على أي حال أنا لست متيقنة تماما بأنني لا بد أن أتزوج شخصا ما، أظن أنني ربما ما أزال فضولية جدا.

ليمان : بالنسبة للرجال.

(تومئ، متحيرة. فجأة يصبح حاسما.)

أمهلني شــهرا! في الأول من شهر يونيو ربما أستقر مع ثيو أو أختفي، ما رأيك؟

ليا : أنــت رجل مســكين، كنت أود أن أســاعدك، لكنني

مشوشة جدا...

ليمان : أنــا فقدت تقييمي للأمور، الأمور تتدهور كلما تقدم بي العمر فأصبحت أحمق.

ليا : لكنك لســت مخضرما، أنت شــهواني وورومانســي، وأظن أن تلك الصفات رائعة!

ليمان : (يتحرك نحو الضوء بينما هي تتلاشــى.) لا! لا أعرف ما العيب في شــخصيتي، لا أســتطيع أن أقف ثابتا منتظرا الموت! الشيء الذي يتحتم عليك أن تقومي به في مرحلة معينة، أو أن تكوني ســخيفة، لا بد أن تقفي هناك بشكل نبيل وبهدوء ...

(الآن ذهبت ليا، إنه وحيد.)

... وتتركي الموت يقيد ذراعيك وبطنك ومفاصلك حتى يقوم بتهيئتك لارتداء البذلة السوداء الأخيرة. لا أستطيع، لن!... لذا بقيت كي أصارع الطاقة الكامنة في هذا الخطأ التاريخي الذي ...

(بينما هــو يدخل الجبيرة، يصرخ صرخة يســمعها العالم ...)

... وهبها لي الله وسأتمسك بها حتى تتحلل القذارة في فمي! الحياة!

الحياة! أمقت الموت والاحتضار!

(رقعة الضوء تتسع، تظهر ليا، ترتدي ملابس مختلفة عما ســبق - بمعطفها الفرو - تقف بجوار الفراش



مع الممرضة، تستمع لصيحاته.)

الممرضة : لا تخافي، انتظري لحظة، سيُشفى منها. أنا متأكدة أنه يود أن يراك.

ليا : (تتحرك بشكل يتسم بالتردد نحو الجبيرة) ليمان؟ (ينظر إليها بإدراك غائم.) أنا ليا.

(تخرج الممرضة.)

ليمان : (الآن يدركها تماما) : ليا! (يشيح بوجهه عنها.) يا للهول، ماذا فعلت بك؟ انتظري ... (برهة، ينظر حوله.) هل ثيو كانت هنا؟

ليا : أظن أنها غادرت، أتيت إلى هنا لتوي.

ليمان : لا أعرف أين أنا ... أوه ، ليا ، إنها تجثم على صدري كشوال أسمنت.

ليا : ما هي؟

ليمان : شخصيتي.

ليا : نعم، حسنا ... إنها رائعة.

ليمان : وما أزال أقسم أن كل ما فعلته هو أنني حاولت أن أكون صادقا. (يتأثر) شكرا لزيارتي.

ليا : أتيت فقط من أجل بيني، لا أعرف كيف أفسر له ذلك.

ليمان : (على وشك أن يبكي مجددا) ما الذي جعلك تأتين إلى هنا وتتكلمين ببرود شديد، أنا أرحب بك جدا. ما رأيه؟

ليا : (محبطة، تشيح بوجهها بعيدا) تحمس لوجود شقيقة له.

ليمان : (إعجاب مؤلم) : آه ذلك هو الابن الحبيب!

ليا : إنه مشوش تماما يا ليمان، شاهدنا على التلفزيون وأخبره واحد من الإطفال الآخرين أن لديه والدتين. يتصبب عرقا في نومه. يسألني دائما عما إذا كنت سأعود للبيت مرة أخرى. إنه يعصر قلبي.

أخشى لو أن هذا الأمر لن يستقر فربما يؤثر سلبا على بقية حياته.

(الدموع تترقرق في عينيها) فأنت معبودة يا ليمان!

مثله الأعلى!

ليمان : آه، الحطام، الحطام ...

ليا : قل لي الحقيقة، لا بأس إذا لم تخبرني، أود أن أعرف فحسب هل تشعر بالمسؤولية أم لا؟

ليمان : (يثور، ينتابه الخوف أكثر مما يزداد سخطا) كيف تسألين سؤالا كهذا؟

ليا : لماذا! إنه سؤال منطقي!

ليمان : اسمعي الآن، أعرف أنني على خطأ ، فأنا مخطئ، أنا مخطئ لكنني لم ألقِ بكما فوق صهوة جوادي كي أغتصبكما في خيمتي! كنت تعرفين أنني متزوج، وحاولتي أن تجعليني أحبك ، لذا أنا بشكل كلي



لست....

ليا : ليمـــان، لو كنت تلومني فســأختفي فــي طيات هذا الدور!

ليمان : أنا أتحدث عن الحقيقة وليس عن اللوم، تلك ليست كارثة الرجل الأوحد!

ليا : مدهـــش، اللحظـــة التي تتحدث فيها عـــن الحقيقة فتبدو دائما أفضل من أي شخص آخر!

ليمان : الآن هذا ليس عدلا!

ليا : (وقفة قصيرة) : أود أن أتحدث عن بيني.

ليمان : يمكنك أن تحضريه غدا لو شـــئت. لكن هيا، يمكننا أن نتجاذب أطراف الحديث الآن.

(وقفة حتى تهدأ أعصابها.)

ليا : (بتجهـــم يجعـــل وجهها متوهجا) على فكـــرة ... أنا فضولية، كيف تســـير الأمور مـــع زوجتك؟ قالوا لي إنك أمضيت معها أكثر من ساعة.

ليمان : كل ما فعلته هو أنها جلســـت هنـــاك لتقول لي إنني وحش لم يحب أي امرأة قط.

ليا : (تقطب جبينها بشدة) وأفترض أنك على الرغم من ذلك طمأنتها.

ليمان : حســـنا، أحببتهـــا بحق. كما أحببتـــك. الحقيقة هي

الحقيقة يا فتاة.

ليا : أي صنف من الرجال أنت يا ليمان، حقيقي، تسقط من جبل وما تزال لا تفهم أي شيء.

ليمان : ما الذي يجب أن أفهمه؟

ليا : لا عليك.

ليمان : ما هو؟

ليا : (بقلق وغضب) : أمر لا يخصني، لكن كراهيتك لتلك المرأة كبيرة.

أقصد أنه ..هائل.

ليمان : ما الذي ترمين إليه!

ليا : لأنه من المثير للأعصاب أن أستمع لهذا الهراء كله مرة أخرى!

ليمان : أي هراء هذا الذي قلته؟

ليا : رجلي العزيز، إذا كنت قد نسيت، عندما كنت حُبلى في شهرين ذهبنا إلى نيويورك واخترت بنفسك أن نقيم في فندق كارليل، يبعد عن منزلك بأربعة مبان! «أحببتها» ... رجل را- !

(تظهر نافذة في خلفية خشبة المسرح، ويظهر جانب من وجه ثيو وهي جالسة، تقرأ كتابا. يحدق وهو يخرج من الجبيرة، يستدير لينظر من النافذة ... ليا تستمر من دون توقف.)



ماذا يكون كل ذلك إذا لم يكن كراهية! وتسير معي حتى نافذتك الأمامية وهي جالسة هناك...؟ نعم، يا إلهي كدت أنسى.

مازلت تراها بعد؟ كانت لديك نزعة القتل ومازالت! ربما تتجه لي أيضا!

ليمان : (ينظر إلى ثيو عند النافذة) لكن لا يبدو أن جريمة قتل قد حدثت.

كنت أرقص على حبل عال فوق حافة العالم ... أخيرا خاطرت بكل شيء لأجد نفسي! تجولت معك عند بيتي، الربيع تفوح رائحته، الملابس الداخلية في فاترينات متجر شارع ماديسون، الأنواع الفاخرة ... ألم ترتدي جونلة من قماش التافتا؟ ... وولي العهد مجدول في بطنك؟ ربما أهزم الذنب للأبد!

(تتحرك نحوه، تصبح جزءا من ذكرياته.)

.. كم أنت ضعيفة، كانت بطنك تتفاخر بانتفاخها تحت ضوء مصباح الشارع!

(تشعر بالاسترخاء عند التجوال القديم، و...)

ليا : هل هي تلك؟

(ينظر ليمان إلى ثيو ثم إلى ليا، تدب فيه الروح.)

ليمان : أوه يا حبيبتي ليا. كم تبدين مثيرة أمام المباني



الشاهقة.

ليا : (بابتسامة حارة، تمسك ذراعه) أنت متوتر، صحيح.

ليمان : حسنا، عشت معها هنا لسنوات كثيرة...

ليا : هل كانت قلقة جدا عندما أخبرتها؟

ليمان : (بشكل مأساوي، لكنه يتردد)... نعم يا عزيزتي، كانت قلقة.

ليا : حسنا، ربما بعد الطلاق ستفكر في الزواج مرة أخرى.

ليمان : (بنظرة إلى النافذة، ترخي قبضتها على ذراعه) إلى حد ما أشك في ذلك.

ليا : (بابتسامة قلقة) ألا يجب أن نتلامس؟

ليمان : (يسحب ذراعه سريعا) بالطبع! (يبدآن بالمشي بعيدا.)

ليا : أود أن أقابلها في وقت ما... كأصدقاء.

ليمان : ربما تقابلينها.

ليا : مازلت تشعر بالذنب، صحيح؟

ليمان : (يتوقف، بتصميم غريب مفاجئ) قليلا، نعم، وأكره هذا الشعور. اسمعي، أود أن أرى لو كان بإمكاني أن أدخل وألقي بالتحية.

ليا : حقيقي! هل تريدني أن آتي معك؟

ليمان : لا، ليس بعد. هل تمانعين في وقت أطول؟ قولي رأيك.

ليا : لا، اذهب، أنا من النوع الذي لا يزور الناس فجأة.

ليمان : يا إلهي، استمتعي بوقتك! سأراك في الفندق عندما أعود خلال عشرين دقيقة، اتفقنا؟

ليا : استمتع بوقتك! سأعبث بالملابس الداخلية تلك التي اشتريتها.

(تلمس بطنها) أنا قانعة جدا يا ليمان!

(تستدير وتمشي صوب الجبيرة التي تضيء. يظل تحت النافذة، يحدق في جسدها وهي تغادر.)

ليمان : لماذا الأمور هكذا، الأسعد هي الأكثر حزنا معي؟ إنها الموضوعية اللعينة! مثل شعور الخالق عندما ينظر إلى البشر السعداء، يعلم ما يعلمه عن الديدان! (الآن ينظر إلى ثيو، ودقات قلبه تزيد)

ماذا فعلت! هل مجرد أني ضاعفت المسافة التي أقف فيها من حياتي؟

(تصميم عنيف) غبي! أحِبها! الآن بما أنها لم تعد تحرمك فدع الحب يتدفق إلى زوجتك الحكيمة الرائعة!

(يندفع تجاه ثيو، لكن عندها يستدير فزعا، يمشي في دائرة وينفخ، ثم يغطي وجهه.)

إلى الجحيم مع هذا الذنب!



(يحدث صريرا بأسنانه ويهرع مرة أخرى صوب النافذة ...التي تختفي، عندما تنهض تجفل.)

ثيو : ليمان! قلت يوم الثلاثاء، صحيح؟

(يأخذها بين ذراعيه، يقبلها بعاطفة جياشة. تندهش ويشملها السرور.)

ليمان : يا لك من امرأة جميلة يا ثيو، تبارك الله فيما خلق.

ثيو : رالف والدو إيمرسون.

ليمان : يوم ما سأنسخ صورة لم تسمعي بها؟ (يضحك، بشكل ودود، يحضنها بشدة وهو يأخذها إلى كرسي، يعرض ودا مليئا بالإثارة.)

اسمعي، أنا اشتركت في الهبوط مع هذا الطيار في طائرته الجديدة (سيسنا)، لدي اجتماع هناك يبدأ في السابعة والنصف غدا، لكن كان علي أن أفاجئك.

ثيو : أقلعت بك طائرة صغيرة في الليل؟

ليمان : كان كل هذا الخوف ذنبا يا ثيو، ظننت أنني كنت أستحق التحطم.

لكنني أستحق أن أعيش لأنني لست رجلا سيئا وكذلك أحبك.

ثيو : حسنا، أنا أطفو بعيدا! متى ستعود؟

ليمان : الآن.

ثيو : (على وشك أن تضحك على العبث) ألا يمكننا أن

نتجاذب أطراف الحديث!

ليمان : لا، فـــي الواقع من الأفضل أن أتصل كي أبلغهم أنني في طريقي.

(يتصل بالهاتف)

ثيو : سأقوم بتوصيلك إلى المطار.

ليمان : لا، سيقلني من فندق كارلايل ... ألو؟

(الأضواء تسلط على ليا، تمسك سماعة الهاتف.)

ليا : حبيبي!

ليمان : كوني هناك بعد عشر دقائق.

ليا : (تندهش) آه؟ موافقة. لماذا تهاتفني؟

ليمان : كي أتأكد أنك لم تنسيني وركبت الطائرة.

ليا : غيرتك مريحة جدا! تعرف أنها بقراءتها في النافذة صنعت صـــورة وقورة جدا، كانت مثل شـــبح إدوارد هوبر[1].

ليمان : نعم، حسنا، أنا راحل الآن. (يقفل الخط.)

ثيو : لن تنسى عشاء يوم الخميس مع ليونا وجلبرت... سيكون قد وضع جهاز السمع لذا لن تكون حالته سيئة.

ليمان : (بجدية معينة، يمســـك يديها) : كان علي أن أســـرق

(١) إدوارد هوبر كاتب بريطاني معروف بكتابه «النهر» (المترجم)



تلك النظــرة الإضافية مــن كل واحــدة ... الحياة قصيرة جدا بشكل غبي يا ثيو.

ثيو : (بسعادة) لماذا يجلس ملك الموت دائما على كتفك، لديــك مقومــات الحياة أكثر من أي شــخص آخر! (تنفش شعره.) في الواقع أنت ممتع الليلة.

ليمان : (أنفاســه متقطعة) اســمعي، لدينا وقــت لنتطارح الغرام.

ثيو : (بدهشــة، ضحكة مبتهجة) كنــت أود أن أعرف ما الذي يؤثر فيك!

ليمان : أنــا علــى قيد الحيــاة، هذا هــو المفيــد! لابد أن أفترســك! (يهم بتوجيهها.) أنســى دائما أن زوجتي جميلة جدا.

ثيو : لا بــد أن تكون فــي المكتب الجديد فــي إليميرا، البدايات دائما مثيرة!

ليمان : (يديرها نحوه، يقبلها) أكرر ســؤالي، هل كان هناك إله مُذنب؟

ثيو : الآلهة لا يُذنبون، لذلك هم بالطبع آلهة.

ليمان : أشــعر كأن القمــر فــي بطني والشــمس في فمي، وأنشــر ضيائي على العالم. (يضحك بسحر يسخر من ذاته)... ضياء كواكبي منتظم!

تعالــي! (بضحــك ذي ضجيــج عال يمســك يدها ويقودها نحو الظلام ...

ثيو : آه، ليمان، يا للروعة ، أنت متجدد دائما!

(إظلام. الضوء يسلط على ليا في غرفة المستشفى، ليمان يعود إلى جبيرته.)

ليا : إذن منحتها حبا تلك الليلة.

ليمان : ماذا علي أن أقول؟

ليا : لا توجد نهاية عندك، صحيح، وعندما عدت إلى الفندق، هل قمنا ..؟

ليمان : لم أستطع أن أمنع نفسي، ربما يكون السبب أنك كنتِ قريبة من هناك، لكنها بالتأكيد بدت رائعة! كيفَ يكون ذلك شرا؟

ليا : (تتنهد) اسمع، لابد أن نناقش شأن العمل. أود أن تكتب المنزل باسمي فورا.

ليمان : ماذا تقولين؟ ليا ...!

ليا : أعرف كم أنك تعتز به، لكنني أريد تأمين حياة بيني.

ليمان : ليا، أناشدك بأن تتريثي في ذلك ...

ليا : لن أتريث في هذا الشأن! وأود أن أستعيد شركتي.

ليمان : سيكون ذلك معقدا، لأنني ضاعفتها مرات ومرات أكثر مما توليتها...

ليا : أود استعادتها! كان من الممكن أن أضاعفها بدونك! لن أكون غبية للأبد! سأقاضيك!

ليمان : (بتكشيرة قلقة جدا) هل حقا ستقاضينني؟

ليا : (تبحث عن مفكرتها) أنا لا أتسكع يا ليمان. جرحتني بشـــكل عميق ... (تتوقف، تمنع دموعها من النزول. تخرج ورقة.)

ليمان : (يشيح بوجهه عنها مرغما) كم أكره أن أراك تبكين.

ليا : لدي ورقة أود أن توقعها.

ليمان : أوقعها؟

ليا : وثيقة تنازل عن المنزل وشركتي؟ أتقرأها؟

ليمان : أنت لستِ جادة.

ليا : أعدها لي تيد ليستر، هيا اقرأها.

ليمان : أعرف ما هي وثيقة التنازل، لا تقولي لي اقرأ وثيقة التنازل. كيف تفعلين ذلك؟

ليا : نحن لسنا متزوجين ولا أريدك أن تخدعني.

ليمان : و ... ومـــاذا عن بيني. لا تقصدين أنك تُبعدين عني بيني...

ليا : أنا ...

ليمان : أود أن تحضريـــه هنا صباح غد، حتى أســـتطيع أن أتحدث معه.

ليا : لحظة فحسب ...

ليمان : لا! ستحضرينه يا ليا ...



ليا : استمع الآن! ناقشـــت هذا مع تيد ليستر، وليس لك سند قانوني تســـتند إليه. لن أسمح لك برؤيته حتى أعرف ما تنوي أن تقول له عن كل ذلك.

ليمان : سأقول له الحقيقة، أنا أحبه.

ليا : أنت تحبه!

ليمان : (بشكل تهديدي) قلت إنني أحبه يا ليا!

ليا : لكن ماذا سيكون رأيه في كل ذلك؟ أهكذا تخدع من تحبهم؟

ليمان : البشـــر يمكن أن يفقدوا اتزانهـــم عندما يقعون في بحـــر الهوى، لن يؤذيه معرفة ذلـــك. أنت تغالين في حمايته.

ليا : لكن كيف ســـيفهم ذلك الحب؟ أنت تحبه، وأنا كذبت عليه بشكل فظيع جدا؟ هو كل ما لدي الآن يا ليمان، لن أنتظر حتى أراه يفقد عقله!

ليمان : الآن توقفـــي عن هذا الكلام! أنا قمت بعمل أشـــياء أكثر بكثير من الكذب عليه...

ليا : (تفقـــد أعصابها) : أنت كذبت عليـــه! لماذا لا يبدو عليك أنك تسجل ذلك؟

الأمر كله كان كذبة!

ليمان : أحب ذلك الفتى!

ليا : ... أن تشتري له المُهر، وتعلمه التزحلق على الجليد،

وتحلق معــه بالطائرة ... فجعلتــه يهيم بك، عندما عرفت ما عرفته! كانت تلك هي القسوة!

ليمان : حسنا، لن أجادل. ما الذي كنت تتخيلين أنني سأقوله له؟

ليا : أظــن أنك يجب أن تقول أنك تحبه، لكنه لا يجب أن يخطو خطاك لأن الكذب على الناس يؤذيهم. واطلب عفوه، وعِدْه بألا تخدعه أبدا.

ليمان : لن أطحن نفســي أمام ابني! هذا ليس أسلوبا تربويا له يا فتاة، فهكذا تنتقمين مني! لو قُدر لي أن أعلمه شــيئا الآن فسأعلمه بأن يتحلى بالشجاعة كي يكون صادقا مع نفسه! هذا هو المهم!

ليا : يقــوم بذلــك حتى لــو كان عليــه أن يخــون العالم بأسره؟

ليمان : (بألم) الحقيقة فقط هي المقدســة يا ليا! ألا نضع الأسرار في بئر!

ليا : لا بــد أنك مجنــون، أنت حجبت كل الأســرار! أنت حقيقة لا تعرف الصواب من الخطأ، صحيح؟

ليمان : يا إلهي تبدين مثل ثيو!

ليا : حسنا، ربما ذلك ما يحدث للنساء اللواتي يتزوجنك! انظر، لا أظن إنها فكرة سديدة في تلك اللحظة ...

ليمان : لدي الحق لأرى ابني!

ليا : لن أسمح بأن يكون نسخة منك يا ليمان، فذلك سيدمر حياته!

(تهم بالرحيل)

ليمان : أريد بيني! أريد بيني يا ليا! ستحضرين لي بيني!

(تدخل بيسي وحيدة. قلقة ومتوترة لأقصى حد.)

بيسي : آه! أنا مسرورة لأنك هنا، اسمعي ...

ليا : كنت ذاهبة فحسب...

بيسي : من فضلك لا تذهبي! جاءتها نوبة من نوع ما، يحدقون فيها في غرفة بجوار الردهة.

ليمان : يا إلهي ، بيسي ... ما الأمر؟

بيسي : أظن حقيقة أنه سيكون مفيدا أن ترى أنكما معا...

ليا : لكننا لسنا معا.

بيسي : آه! حسنا، أنا مسرورة لسماعي ذلك، ظننت أنك كنت ستدعينه يفلت بفعلته.

ليمان : حسنا، لم يحسم الأمر بعد...

ليا : ربما حُسم يا عزيزي. (لـ بيسي) ماذا تقصدين؟ برؤيتك بأننا معا؟

بيسي : إنها تتحدث عن أخذها له معها إلى المنزل.

ليمان : لا مزاح!

بيسي : (بنظرة معادية وسريعة إليه، ثم)... إنها متوهمة



قليلا.

ليمان : لمـــاذا يكون ذلك وهما؟ ربمـــا تريدني الأم أن أرجع بشكل حقيقي...

بيسي : (بخطـــوة محبطـــة) أريدها أن تخرج مـــن هنا ومن المنزل!

ليمان : مـــاذا يجب عليّ أن أفعل، أن أضع قرنا فوق رأســـي وذيلا في مؤخرتي؟ أنا لســـت وحشـــا يا بيســـي! يا إلهي: من أين أتت كل تلك القسوة!

ليا : هو يريدها، تفهمين ...

ليمان : أريدكما معا!

بيسي : (بنبرة هســـتيرية، تصرخ) هل فكرت مرة واحدة في حياتك في إنســـان آخـــر. (لـ ليا) مـــن فضلك! هل ستأتين وتخبرينها برأيك فيه؟

(توم وثيو يدخلان مع الممرضة، يمسكها من ذراعها، تشـــتد الحالة التي تنتابها، نظراتهـــا خافتة وثابتة، ورأسها يتمايل.)

ليمان : ثيو! تعالي، اجلس هنا يا توم!

ليا : (لـ بيسي، بخوف) أشعر بأنه يجب عليّ أن أذهب...

ثيو : آه، أود أن تبقى بضع دقائق! (للممرضة) من فضلك أحضري كرسيا للسيدة فيلت.

(الحالة تســـبب دهشة لبيسي. تنظر ليا سريعا إلى

بيســـي، محتارة لأن هذا عكس ما تريده بيسي وثيو. يتشـــجع ليمان كثيرا. تنظـــر الممرضة بحيرة وهي خارجة لتحضر الكرسي.)

حسنا! ها نحن جميعا معا.

(وقفة قصيرة.)

توم : لقد حدث لها... حادث صغير، (لـ بيسي) رتبت أمر الطائـــرة، يمكن أن نذهب نحـــن الثلاثة إلى المدينة معا.

بيسي : آه، حسنا. نحن مستعدون للرحيل حينما تقررين يا أمي.

ليمان : شكرا يا ثيو... لأنك أتيت.

ثيو : (تستدير نحوه، تبتسم بشحوب) : ماتت الاشتراكية. (مرهقـــة) والمســـيحية انتهـــت، لـــذا ... (تتقصى بعينيها) ... لم يتبق في الواقع شـــيء ... ما ... ما عدا البساطة؟ للدفاع عنها. (تضع ساقا فوق ساق، وينزلق معطفها جزئيا فيكشف فخذها العاري.

بيسي : أمي! أين جونلتك؟

ثيو : أنا مستريحة، لا بأس...

(تدخل الممرضة بكرسي.)

بيسي : لا بد أنها تركت جونلتها في الغرفة التي كانت فيها، من فضلك ضعيه هنا؟

(الممرضة محتارة مجددا، تخرج.)

ثيو : (لـ ليا) ليتني لم أتصرف بتلك الطريقة... أنا آسفة. (تستدير نحو ليمان) المفاجأة هي ما أطاحت بي. كنت غير مستعدة تماما.

لكنني أفضل الآن. (لـ ليا) أنا أفضل بكثير... (تتوقف) هل تطالعين صحيفة صوت القرية من هنا؟

ليا : نعم، من حين لآخر.

ثيو : منذ بضع سنوات أُجري حوارا صحافيا غريبا مع الروائي إيزاك باشيفيز سينجر؟

الذي أجرى الحوار كانت صَحافِية، هجرها زوجها من أجل امرأة أخرى، ولم تفهم السبب. وقال سينجر: «ربما وجد أن مظاهر أنوثتها أفضل؟»

صُدمت في ذاك الوقت، في الحقيقة غضبت، لأنه هو الذي حصل على جائزة نوبل، لكن الآن أظن أن رأيه كان شجاعا، لأنه من المحتمل أن يكون محقا. الشجاعة... الشجاعة دائما أهم الصفات! يعرف الجميع ذلك، بالطبع، لكن تظهر فجأة هكذا... واضح جدا...

(الممرضة تدخل، تعطي لثيو الجونلة.)

الممرضة : هل أساعدك في ارتدائها ؟

ثيو : (تأخذ الجونلة، تنظر إليها من دون تمييز وتوقعها على الأرض.) لا أتذكر إذا كنت قد ناديتك بـ ليا أم

بالسيدة فيلت.

ليا : أنا حقيقة لست السيدة فيلت.

ثيو : (بابتســامة اجتماعية مبتهجة) حسنا، لا يهم، على أي حال أظن أن أدوارنا قابلة للتبادل. ماعدا شأن الأطفال. (وقفة قصيرة) ابنك يحتاج إلى أبيه كما أعتقد.

ليا : حسنا... نعم، لكن ...

ثيو : إذن لابــد أن يكون معــك هنا، صحيــح؟ (لـ ليمان) يمكنك أن تأتي إلى هنا حينما تشاء... إذا كانت تلك رغبتك.

بيسي : (لـ توم) : هي حقيقة تتألم كثيرا بســبب ذلك. هيا يا أمي، سنذهب...

ثيو : (لـ ليمان) يمكنني أن أقول «اللعنة» لم أكترث بالكلمة، لكنني علــى يقين أن لديها حدودا أيضا. يمكنني أن أقول «اللعنة على نفسي»، «اللعنة عليك».

(ليمان صامت بحزن يشوبه الشعور بالذنب.)

بيسي : (لـ ليمان، بغضب.) هل ستطلب منها أن ترحل؟ بغض النظر عن الاحترام، بغض النظر عن الصداقة!

ليمان : نعم، (برقة) هي محقة يا ثيو، أظن أن ذلك ســيكون من الأفضل...

ثيو : (لـ بيسي) : لا، يمكنني أن أعتني به بشكل أفضل في المنزل. (لـ ليا) حقيقة ليس بوسعي شيء، ويخيل لي

أنك مشغولة...

بيسي : توم، هل ...؟

توم : لماذا لا نسمح لها بأن تقول عما يدور بخلدها؟

ثيو : (لـ بيسي) كان لـه كل الحق في أن يستاء مني . كل ما كنت أفعله هو تصحيح أخطائه؟ (لـ ليا) لم تصححي أخطاءه صحيح؟ أنت تحبينه على علاته، تحبينه حتى الآن، صحيح. وهذا هو السر، صحيح. (لـ ليمان) حسنا يمكنني أن أقوم بذلك. لا أحتاج لأن أصوب أخطاءك... أو بالأحرى أتظاهر بذلك ...

بيسي : لا أحتمل ذلك يا أمي!

ثيو : (بهدوء لبيسي) لكنني يا عزيزتي بيسي، عرفت تماما ما كان يفعل.

على أي حال أظن أنني أعرف لماذا تحملت ذلك؟ (فجأة تصرخ بكل ما أوتيت من قوة) لماذا تحملت ذلك!

(صمت، الخوف يجتاحهم جميعا.)

بيسي : (خائفة من أجل أمها) : أبي، من فضلك... قل لها ...؟

ليمان : لكنها تحاول أن تقول الحقيقة يا حبيبتي.

ليا : (تستاء فجأة) : أنت امرأة مسكينة! (له) يا لك من سافل، جملة واحدة صادقة منك وما كان حدث شيء



في هذا العالم، جملة حقيرة!

(تناشد ثيو) أنا آسفة لأنه لم يقلها يا سيدة فيلت ...

ثيو : لا، لا ... إنــه محــق تماما، كان يقولهــا دائما، إنها الحيــاة التي لا أطيقها! لكنك تطيقينها، تثقين فيها، ولهذا السبب لا بد أن تفوز ...

ليا : لكن ذلك ليس حقيقيا، لم أثق فيها أبدا ! ليس بشكل حقيقي!

لم أثق فيه بشــكل حقيقي. كى أقــول لك الحقيقة، لم أرد أن أتزوج أي رجل، لم أقابل زوجين ســعيدين قط! اســمعي، لا يجب أن تلومي نفســك، الأمر كله لا يجــدي، لا يجــدي... على أي حــال كنت أعرف ذلك، لكنني تماديت فيه، ولا أعرف السبب.

ليمان : (بغضــب مريــر) : لأنك لــو لم تتزوجينــي ما كنت احتفظت بحملك في بيني. لا تكوني غبية يا ليا!

(لا تجد كلمات)

مــا كنت لتتجبي بينــي وما كنت تنعمت بالســنوات التسع الماضية.

أصبحت نموذج المرأة الــذي كنت تحلمين به، بدلا من ... (يُمسك عن الكلام.) حسنا، ما الفرق؟

ليا : لا، لا تتوقف، بدلا من ماذا؟ مم أنقذتني؟

ليمان : (يقبل تحديها) حســنا ... من كل مرات الاســتحمام الفرديــة التي كانت تعقب اللقــاءات الحميمية تلك،



وحديث الفـــراش عديـــم الجـــدوى و.......عديمة الأحاسيس بجوار فراشك...!

ليا : (مُلجمة) حسنا الآن!

ليمان : سئمت من تلك الفضلات يا ليا! استفدت شيئا قليلا من الخيانة الحقيرة تلك!

ثيو : هذا كلام فظيع يُقال للمرأة.

ليمان : لكن الحقيقة فظيعة، أليس هذا ما فرغت من قوله؟ هل مازلتِ تبحثين عن نقائك يا ثيو؟ سامحني لأنك أحببتني، وأكثر مما كنت أستحق، لكن ألم تكن الحياة المنعمة التي وهبتها لك. حســـنا ما العيب في ذلك؟ أليست النساء من جنس البشر؟ ألا يُحب بني البشر القوة؟

لا أفهم العار في ذلك!

بيسي : (للمرأتين) لماذا تجلسان هنا، أليس لديكما كبرياء! (لـ ليا)

هذا أمر مخز!

ليا : ألا تتوقفيـــن عن تحدي الجميـــع؟ يربطني به عمل، لذا لابد أن أتحدث معه! سأتخلى عن عقلي هنا! هل اتُهمت بشيء؟

بيسي : لا يجب أن تتواجدي معه في نفس الغرفة!

ليا : (مهزوزة) فسرت ذلك لتوي، صحيح؟ ماذا تريدين؟

ليمان : (صوته يتشقق بالتنهد) تريد استعادة أبيها!

بيسي : أيها السافل! (ترفع راحتيها، ثم تبكي بيأس.)

ليمان : أحبك يا بيسي! أحبكم كلكن! كلكن رائعات!

بيسي : لا بد أن تُقتل!

(تنفجر باكية. نهر من اليأس الحزين يفيض الآن ليجتاح ليمان، ثم تجرف موجة البكاء ليا. كل الاستراتيجيات تنهار الآن لأن ثيو تأثرت أخيرا. الأربعة يغطون وجوههم يائسين. حماس جماعي عارم، انفجار حزن جنائزي، كُل وفق ظروفه، بسبب الإحباط من الحب وبسبب انهيار قدرتهم على التحلي بالمنطق. ابتعد توم عنهم، رأسه يميل للصلوات، يداه مطبقتان، عيناه مغمضتان.)

ليمان : ثيو، من فضلك! ارتدي بعض الملابس! (يستدير طالبا العون من توم) توم، لا أستطيع احتمال فعلها لذلك...! (يتوقف) هل تصلي طلبا للمغفرة؟

توم : (يحدق للأمام، ينظر إليهم) الاستمرار غير ممكن، الاستمرار مستحيل. لا بد أن تتوقفن كلكن عن حبه. لا بد أن تتوقفن عن حبه وإلا سيدمركن. هو حبل لا نهاية له غير مربوط بشيء. ثيو تحتاج إلى العون الآن يا ليمان، ولا أريد صراعا، كما أنني لا أفهم كيف أستمر في تمثيلك قانونيا.

ليمان : لماذا؟ ألست جديرا؟ من هذا الذي لا يكون دوما

خاضعا لنزوة أو هوى؟ (صيحة، لكن يشدد على ضياعه، على عدم قدرته على التواصل.) من الذي يتصل بشيء في هذا العالم؟ أنا بشر، وأنا فخور بذلك! بالمجد وبالهراء!

توم : لا بد أن تواجه ذلك يا ليمان، أنت حركت هذا الحاجز ...

ليمان : لم يكن انتحارا، لست ممن يلجئون للذرائع!

توم : لماذا تلجأ للذريعة لكي يكون لديك ضمير؟ كنت خجلا، صحيح؟ لماذا لا تعترف بذلك؟ أليس الضمير خاصا بالبشر؟ خجلك أفضل صفة فيك...

(يتوقف، يستسلم.) أنا مستعد للذهاب يا ثيو.

ليمان : دعها تبقى لبرهة. (لـ ثيو) تريدين أن تبقي، صحيح؟

بيسي : أمي؟

(ترفع ثيو على قدميها. رأسها يترنح. تستدير نحو ليمان.)

ليمان : لا يمكنك بالفعل أن تتركيني يا ثيو، لا يمكنك!

ثيو : أخشى أنه لم يعد... لدي شيء يا ليمان.

(تمسكها بيسي من ذراعها كي تذهبا، ليا تقف، كما لو أنها سترحل.)

ليمان : بيسي! سأراك مرة أخرى، صحيح؟ أحيانا؟ (بيسي صامتة.)



ليا؟ يمكنك أن تبقي قليلا، موافقة؟

ليا : (شكل من أشكال المراوغة) : لدي عمل في المكتب...

ليمان : (بضحكة خائفة.) : كلكم راحلون؟ ما هذا؟!

ليا : سأحاول أن أزورك غدا، لو كان بمقدوري...

ليمان : (برعب واضح من نبرتها الباردة) أود أن تحضري بيني.

ليا : لا أستطيع، إنه يوم دراسي ...

ليمان : (مذعور) أنت لن تبعدي عني بيني؟

(لا تجيب.)

ستحضرين لي بيني يا ليا!

(يظهر الأب، يهز غطاءه الأسود. يتحركون جميعا تأهبا للرحيل.)

ليا : كف عن الصياح! لا أستطيع أن أحضره!

(يرفرف الأب بغطائه، الذي يتموج أمامه. خوف ليمان يتصاعد.)

ليمان : لا تتركوني هكذا! (يستمرون في التحرك، ينتابه الذعر.) قلت انتظروا دقيقة...! لا تتركوني! ليا، بيسي... ثيو، اسمعن ..!

(بحركة مفاجئة، يجتاح الأب ليمان بالقماش الأسود

الذي يتموج فوقه وفوق الفراش، يغطيه تماما. يصيح من الأسفل...)

لا، لا تفعل! يا أبي ! من فضلك! لا تفعل هذا!

ليا : كف عن هذا! لماذا تصرخ!

ليمان : (يضرب ما حوله في فزع.) أين الضوء! أين الضوء اللعين!

ليا : (لتوم طالبة العون) ماذا يفعل؟

(ليمان يرفس الغطاء، كل ما يرونه هو أنه يضرب ما حوله، وهو يستلقي الآن ليلتقط أنفاسه بينما يمشي الأب نحو الظلام يجر الغطاء، متمتما.)

ليا : (تحدق بسرعة بعيدا) لم أعد أحتمل ذلك!

ليمان : (بنظرة اندهاش) انتظري، انتظري من فضلك... أتذكر ما حدث!

كيف صعدت إلى الجبل! (يسترجع شلال الذكريات) كنت أتصل بك من منزل هاورد جونسون، نعم. لأقول لك إنني ربما أبقى فوق الجبل بسبب العاصفة... لكن الخط كان مشغولا. لذا خلدت للفراش، نعم...

لكنه كان لايزال مشغولا... فيما يزيد على الساعة... وأكثر! وأنا...

نعم، وهممت لأطلب من عامل الهاتف أن يقاطعه كحالة طوارئ، لكن ... (يتوقف) أتذكر أنك قلت لي ذات مرة...

ليا : كنت أتكلم مع ...

ليمان : (بغضب سريع) أقول لك ما حدث! دعيني أكمل!

ليا : كنت أتكلم مع أخي!

ليمان : من اليابان، لما يزيد على الساعة!

ليا : عاد يوم الإثنين؟

ليمان : حسنا، لا يهم.

ليا : بالتأكيد يهم!

ليمان : ليا، تذكري أنك قلت ذات مرة... «ربما أكذب عليك» تذكري ذلك؟

مرة في البداية؟ كانت كذبة رائعة حينئذ ... ثم تخلصين جدا بعد ذلك، الآن، من خلفي في تلك الغرفة، بدأت أموت.

ليا : (غاضبة) قلت إنه كان أخي!

ليمان : أنت لا تفهمينني، أنا لا ألومك. ارتديت ملابسي وركبت السيارة لـ ... (يشعر بشيء آخر) لأن كل شيء مات بداخلي يا ليا، كل تلك السنوات العشر من الذهاب والعودة للعمل كانت... سخيفة! كنتُ جثة مدفونة في الغرفة...(يشعر بالإهانة، يحاول أن يبتسم، عيناه مغرورقتان بالدموع.) أعرف أن ذلك كان جنونا، لكنني تخيلت لو أنني مشيت في الثانية أو في الثالثة صباحا خلال العاصفة الثلجية الهادرة

هكذا...

ستندهشين جدا، ستصدقين كم أنني كنت أحتاج إليك... وربما أصدق أنا ذلك! وربما يطوقنا الحب بأجنحته مرة أخرى.

ليا : (تغطي وجهها، تبكي) أوه يا إلهي، ليمان ....!

ليمان : عدت بالسيارة لأوقف الاحتضار. لذا أعرف طعم المعاناة التي تشعرين بها الآن. (ينظر إليهم جميعا) أعرف أن الأوان قد فات، لكنني أقسم إنني لم أشعر بالحب تجاهك من قبل كما أشعر به الآن.

(على وشك الانهيار.) وأشكر الله على ذلك.

(لكنهم صامتون)

أعينيني على ما يجب أن أفهمه يا بيسي!

بيسي : هناك بشر آخرون.

(وقفة طويلة)

ليمان : نعم، وسأمنح أي شيء تلمسا لغفرانك. لكنك تستحقين الحقيقة اللعينة كلها. في ركن أسود بائس من أركان روحي ما أزال غير متيقن من سبب إدانتي! (يبكي بيأس)

(وقفة)

بيسي : لنذهب يا أمي.

ثيو : ... قولي له وداعا يا عزيزتي.

بيسي : (عيناها جافتان الآن، مشاعرها أكثر وضوحا، صوتها أقرب لصوت امرأة أخرى) : آمل أن تتحسن سريعا يا أبي. وداعا.

(تمسك ذراع أمها، لم تعد ثيو تقاوم وهما تتحركان صوب الظلام. يستدير صوب ليا.)

ليمان : آه يا ليا، قولي شيئا قاسيا وأمينا... بطريقتك المعهودة.

ليا : لا أعرف إذا كنت سأصدق شيئا ما... أو شخص ما مرة أخرى.

ليمان : أوه لا. لا! لم أفعل ذلك!

(نوبة بكاء عارمة تجتاحها فتندفع خارجة.)

ليمان : ليا! ليا!

(لكنها ذهبت.)

توم : سأتكلم معك لاحقا.

(يدرك أن ليمان ضائع في محيطه، فيخرج. الممرضة تأتي من ركنها إلى ليمان.)

الممرضة : تشعر بالألم؟

(لا يجيب)



سآتيك بدواء يخفف عنك الألم.

ليمان : لا تتركينني وحيدا، مفهوم؟ أحتاج وقتا قصيرا؟ من فضلك. اجلسي معي. (يربت على المفرش) تعالي، لا تخافي.

(تقترب من الفراش مترددة، يسحبها لتجلس بجواره. يمسك يدها.)

عالمان مختلفان فحسب، أتفهمين؟ النساء تريد حياة آمنة، لكنها خطيرة. هكذا. ليس بوسعنا شيء. إنها فظيعة. ومع ذلك نعيش فيها.)

الممرضة : (لا تعلن موافقتها) دعني أعطيك شيئا. (تبدأ في سحب يدها.)

ليمان : (يتشبث بيدها) عشر ثوان أخرى، أحب دفئك يا لوجان. دفء المرأة هو آخر الأشياء المقدسة، أنت قطعة من الشمس، السحر الأخير. الذي يذكرني... (يقبل ظهر يدها، ثم يتركها.) عندما تكونين هناك تصطادين على الجليد مع زوجك وابنك ... عم تتحدثون؟

الممرضة : ... حسنا، سأقول لك... المرة الأخيرة اشترينا كلنا بعض الأحذية من سوق «ناب» الكبير للأحذية؟ أحذية مستعملة، لكنك لا تميزها من الجديدة.

ليمان : إذن تحدثتم عن أحذيتكم الجديدة؟

الممرضة : حسنا، كانت مشتريات كبيرة.

ليمان : حسـنا، ممتع، مـن الممتع القيام بذلـك. لا أعرف السبب، لكنه ممتع.

الممرضة : سأعود فورا. (تهم بالذهاب)

ليمان : أتكرهينني؟

الممرضة : (تهز كتفيها محرجة) لا أعرف، سأفكر في ذلك.

ليمان : ارجعـي للـوراء قليلا، هـه؟ أنا مازلت مهـزوزا... قليلا.

(تميل وتقبل جبهته)

لماذا تفعلين ذلك؟

الممرضة : بلا سبب.

(تخرج)

ليمان : (اندهاش مؤلم وشوق يعتليان وجهه، عيناه متسعتان، الحيوية تدب في أوصاله) ... كل شيء معجزة! بالتأكيد كل شيء!

تخيل... ثلاثتهم يجلسون معا هناك عند البحيرة، يتحدثون عن أحذيتهم!

(يبدأ في النحيب، لكنه يضبط نفسه سريعا، وبمعاناة داخلية يحدق في الأمام.)

إظلام.



الهبوط من جبل مورجان ..
ملامح الحداثة وما بعد الحداثة

دراسة نقدية تأويلية / hermeneutical

«على الرغم من اتجاهات خشبة المسرح الحديثة فإن المسرحية يمكن أن تُقدم على مسرح مكشوف، المشاهد يفصلها الضوء وتوزيع وترتيب الأثاث والملابس ... تتنقل المسرحية ما بين الهزل والمأساوى ولا بد أن تقدم بشكل كامل، كما يتطلب الموقف من دون محاولة التخفيف من الإفراط فيهم» .. آرثر ميللر - تعليمات مقدمة المسرحية

لماذا يؤكد ميللر في بداية مسرحيته على ملاحظاته تلك؟ .. ولماذا وهو يحدد للمخرجين- في الدرجة الأولى - طابعها وصبغتها مُقرّا بإمكانية تقديمها على «مسرح مكشوف» رغم اتجاهات المسرح الحديث المدعم بتطورات تكنولوجية مذهلة في العرض صوتا وصورة وإضاءة وخدعا مما يحقق تقديما مثاليا للزمان والمكان والتأثير الملائمين لمسرحية تخلص في تمثيل عصرها بكونها «حداثية» إن لم تنتم إلى مسرح «ما بعد الحداثة» مجسدة نموذجا واعدا مستقبليا له كما سيتم التوضيح فيما بعد؟ .. ثم ما مغزى وما فائدة ذلك الإصرار من صاحبها على إثقالها بملاحظات إخراج غزيرة وتعليمات يمكنها أن تثير تعصب المخرجين واستنكارهم وتعاليهم موقظة نزاعا تقليديا يثار دائما عن العلاقة بينهم وبين المؤلفين الذين ينصّبون أنفسهم حراسا على «العرض» متشبثين بحقهم في «حراسة» ومراقبة نصوصهم وتوكيلهم الضمني للنقاد المدرسيين «الحَرْفيين» أن

يســاندوهم في ذلك وأن يدعموهم في دعوتهم إلــى ضرورة «تقديس نص المؤلف» وعدم المســاس به. وهي دعوة ظلت وستظل تنتقل بينهم من جيل مــن النقاد إلى جيل وأجيــال تالية حتى في حال غيــاب المؤلف عن نصّه بالبعد أو فراقه له بالموت؟

أســئلة كثيرة متنوعة يطرحهــا تدخل أرثر ميللــر المتكرر في توصيف تعليمــات الإخراج يمكــن تكثيفها وتجميعها في الســؤال القديم التالي عن «مدى الحريــة في التصرف مع النص المتاحــة للمخرجين؛ وعن المعايير والضوابط التي تحدد علاقة أضلاع هذا الذي أسميناه في دراسات منشورة ســابقة بـ «مثلث التوتر الدائم»: أي بين الكتابة، والعرض، والنقد - كي يتم تحديد مســاحة نفــوذ كل منها ووضع الحدود غير المســموح لأصحابها - المؤلــف - المخــرج - الناقد - بتخطيها... وهي أســئلة ربما بدت غريبة حيث لا يملك المؤلف - أي مؤلف - أن يمشي خلف نصه مراقبا له حارسا عليــه..! وحتى لو فرض وتمكن من ذلك فــي حياته أو على أرضه - بمعنى إمكانــه ســحب النص من الفرقــة أو المخرج الذي يرى فــي أدائه تخطيا لتعليماته التي ســجلها فــي نصه؛ أو أن يوقف العــرض الذي لا يرضيه - فســوف يســتحيل عليه أن يفعل ذلك على أرض أخرى وأمام عرض لم يدع إليه؛ ناهيك عن الحال بعد وفاته!

وهكذا تثير تعليمات أرثر ميللر في «الهبوط من جبل مورجان» أســئلة لا بــد للنقد أن يبحث عن إجابة مقنعة لها أو أن يرفض ملاحظات المؤلف لو ظن أنها مقيدة لحرية المخرج اقتناعا منه بأنه هو وحده وليس غيره «مؤلف العرض» وســيده. لكن أســئلة أخرى تظل مطروحة طوال تتبع «الهبوط من جبــل مورجان» مثلما تظل مثارة بعد الانتهاء مــن قراءتها. ولنبدأ بالتذكير بكونها أســئلة قديمة نشأت في مسيرة المسرح المتلاحقة عبر القرون. أي بعــد اجتماع الكاتــب والمخرج وربما الممثل الأول في الفرقة في شــخص



واحد هو «رجل المســـرح» حسب المصطلح الفرنسي homme de theatre فـــي المســـرح الإغريقي القديم منذ ثسـبس Thespis مـــرورا بكتابه - أو رجال مســـرحه الكبار - أيســـخيلوس Aeschylus وسوفوكليس Sophoklis ويوريبيديـــس Euripides حتى شكســـبير Shakespeare وموليير Moliere وبريخـــت Brecht الذين جمعوا بين الهويـــات أو الصفات والقدرات الثلاث لفنان المســـرح جمعـــا موهوبا محكمـــا وربما كمن في ذلك ســـرّ إبداعهم وعبقريتهم!

لكنه وبمضي الزمن وتســـيّد وانتشـــار فكرة «التخصص وتقسيم العمل Specialization and division of labor» بـــدأت ظاهـــرة العالـــم الجامع الموسوعي الطبيب الفيلســـوف الأديب الفقيه اللغوي والموسيقي..إلخ في التقلص حتى وصلت إلى الاختفاء التدريجي لظاهرة الفنان - رجل المسرح theatre القـــادر المتمتع بمواهب كل الفنون - تماشـــيا مـــع ذلك التحديد الضيـــق للتخصص والغوص العميق فيه والـــذي فرضه العصر الحديث مع استثناء برتولت بريخت وأنتونين آرتو Antonin Artaud وحالات أخرى أقل تأثيرا إلى أن عادت الظاهرة مرة أخرى للبزوغ مع مصطلح «مؤلف العرض المســـرحي Author of the theatrical performance» ومن ينطبق عليهم ذلك من المســـرحيين مثل الكاتب والمخرج والممثـــل الألماني راينر فيرنر فاســـبيندر Rainer Werner Fassbinder ٣١-٥-١٩٤٥ : ١٠-٦-١٩٨٢ . لكـــن آرثر ميللر - الذي لم يحســـب على مصطلح "رجل المســـرح» بمعنى قيامـــه بأداء المهام الثلاث - التأليف والإخراج والتمثيل - أو ينضوي تحت تعريفه - والذي رأت دراماته النور على أيدي مخرجين أمريكيين كبار مثل: إيليا كازان Elia Kazan ٧-٩-١٩٠٩ : ٢٨-٩-٢٠٠٣ .. وتنيســـي ويليامز٢٦ مـــارس ١٩١١ - ٢٥ فبرايـــر ١٩٨٣ وآخرين في كل أنحـــاء العالم - يفاجئنا في نصوصه الأخيرة بكتابة تعليمات وإرشادات وملاحظات مسهبة للمخرج

تتعلق بالحركة وبالإضاءة وبالسينوجرافيا حتى لتكاد تصبح جزءا عضويا لا ينفصل عن النص المكتوب بل تعتبر قطعة من صلبه داخلة في نسيج سداه ولحمته تماما كما نجدها في مســـرح العبث absurd theater حيث الحركة «لغة» والصمت «لغة» والوقفـــات والتركيز pauses and stresses لغات ذات معــان ومدلولات وإحــالات وظلال هي الأخرى؛ مثلما هــي موجودة وجودا عضويا لا يمكن الاستغناء عنه في «الهبوط من جبل مورجان» بلزوم أن تظل مرشـــدة للمخرج حتى ولو قام باســتبدالها. وكل ذلك سيتم تناوله تفصيلا مــع المعالجة النقدية «التأويلية hermeneutical critical analysis[1]» له والتي تنظر للنص ليس باعتباره «كيانا أدبيا» منفصلا ومستقلا؛ بل باعتباره «الخلية الأم والنواة وحجر الأســاس» في العرض المسرحي طالما وجد وتم بناؤه مؤسسا عليه مهما تعددت معالجاته أو تباينت واختلفت. كما أنها - رغم ارتباطهـــا بـ«الرؤية الموضوعية أو التناول النقدي الموضوعي له objective vision / criticizing لا تــراه - حســب T.S. Eliot - وكأنه «مريض على طاولـــة العمليات»- معزول عن تاريخــه وجغرافيته وعصر وحياة مؤلفه. بل تضعه تحت ضوء كاشف ساطع من كل ذلك مستفيدة من كل المناهج وآخذة منها ولكن بقدر محدود مناســب إيمانا واقتناعا بمبدأ حددناه ســلفا وهو "أن كل عمل فني مبدع» إنما ينادي أدوات دراســته وفحصه وتقييمه منتقيا ما يناسبه ومستبعدا ما يراه من الأدوات والمناهج وأساليب التناول النقدي غير ضروري ولا يلزم. وبناء عليه يمكن الاســتفادة من الأساليب الشكلانية والاســتعانة بالدراســات الإحصائية والســيمولوجية في تحليل العلامات

(١) المنهج الهرمنيوتيكي أو التأويلي لقراءة النص والعرض المسرحي هو منهج في النقد بدأناه ودعونا إليه للمرة الأولى عام ١٩٨٦م في دراسة باللغة الألمانية ثم دراسات باللغة العربية نشرت في مجلة عالم الفكر وفي دراسات لاحقة تصدرت مسرحيات : الرقص أمام المرآة - المرقمون - الخطايا المميتة - سيبريا ثم هذه المسرحية. أ.أ.



والصـــور والأيقونات و لحظـــات الصمت ووقفات التركيـــز والفراغ والملأ والهياج والفـــراغ والخواء - صوتيا للضجة المتعمدة والتشـــويش الموظف عضويـــا في خدمة الحالـــة والمزاجية والمعنى تحليـــلا صوتيا visually؛ ومنظريا vocally باللون والكتلة والمســـاحة وكل ما يدخل في تكوين الملاء الســـينوجرافي؛ ولكن حينما يتطلب الأمر ذلك ودون الاعتماد عليها وحدها كي لا تضيق الرؤية مثلما حدث في هوجة استخدامها نقديا في عدد هائل من الدراسات العربية باعتبارها آخر صيحة أو «موضة Mode».

كما أن معالجة مثل هذا العمل نقديا تحت ضوء من منهج يفصل «الشكل عن المضمون» مقتنعا بأن هناك «محتوى متضمنا في قالب أو إطار» - كما هو متبع فـــي الكثير من المعالجات النقدية - إنما يخطئ بنظره إلى العمل الفني باعتباره «كمًّا» يمكن تفريغه في وعاء واستبداله بوعاء آخر في تجاهل أو عـــدم اقتناع بأن العمل يولد مبنى ومعنى .. فكرة ومحتوى معا في لحظة خلق واحدة . وأن «الشكل» هو ما تولد «الروح» فيه وبه متزامنين ومتلازمين ومتلبّسين ببعضهما تلبّس اللحمة مع السداة في ذات النسيج. وبحيث تؤدي أي محاولـــة لفصلهما وانتزاعهما من كيانهمـــا الموحد إلى الخروج بمجرد خيط أو خيوط دونما نسيج لأنه تماما قد تفكك وتشظّى وانهدم.

ومـــن هنا تصبح تعليمـــات الإخراج التي وضعها «ميللـــر» ضرورية جدا - إن لـــم تؤخـــذ باعتبارها ملزمة - دون أن يفهم مـــن ذلك أنه اعتداء على حق المخرج في الرؤية وفي التصور والتنفيذ. فالمستشـــفى الذي هو أرض الأحداث في المســـرحية والذي لا يمكن تصوره بغير كونه مســـاحة بيضاء ناصعة - رغم وجود الحياة ومن يحاولون إنقاذ الحياة داخلها - لكنها معقمة باردة شفافة مثل شرايين أو أوردة في جسد نزفت دماه وتم غسله وتجفيفه - إذا كان لنا أن نتصور ذلك - فصارت شـــاحبة شـــحوب جثة محنطة ميتة وثلجية في بياضها الشـــاهق الذي يوحي بالخواء؛ لا بكونها مكانا لاسترداد

الصحة ومحاولات إنقاذ الحياة! وفي مثل ذلك الجو تشعر الشخصيات بالجدب والضياع - الذي يحسه ليمان فيلت بطل المسرحية - كما تعاني مثله من خوف الاتصال ببعضها، أو أنها توشك أن تصعق بمجرد التلامس الذي حين يحدث بينها ترتد مرتجفة وتعود لعزلتها وانعزالها رغم الشرك / المصيدة التي سقطوا في جوفها الغائر جميعا وقد تغلغل في روحهم إحساس قاتل بفقدان الحل / الخلاص الأمل يأسا وقنوطا. ذلك الإحساس الذي هو قرين العبث absurd - حيث ينفرون ويتباعدون.. يتبادلون عبارات التجريح والإدانة والاتهام والإهانة - لفظا وحركة وتعبيرا وإيماء - وحيث يصبح "الآخر هو الجحيم" كما في مسرحية جان بول سارتر المعروفة. وأيضا حين يتقاربون فيتلامسون بحذر وتردد وهم يرتجفون - كضحايا لفاعل أعتى رغم وجود الفاعل الحقيقي ممثلا للنموذج الأمريكي رجل الأعمال المليونير- الذي يجعل منه «بطلا مأساويا عصريا» واقعا تحت سطوة قدر مشابه لـ «الضرورة المأساوية اليونانية necessity أو الجبر» المتضمن في الـ «moira» والذي يتولى البطل نفسه المساعدة في تحققه ونفاذه بكونه «مدمرا لذاته» self destructor بفعل الثقة المغالى فيها. تلك التي تجعله يقدم على «سقطة hamartia عصرية بارتكاب خطيئة» الزواج المتعدد polygamy في مجتمع ينكرها دينيا وأخلاقيا حتى وإن بدا ذلك متناقضا مع تصرفات أفراد هذا المجتمع الفعلية.

يمكننا أن نضيف - في هذا السياق أيضا - إيمان ميللر بكون «الدراما / المسرح محاكاة لأفعال البشر» متفقا بذلك مع أرسطو. لكنه وفي نفس الوقت مختلف مع عزله أو عزل المسرح الإغريقي بكامله للمأساة عن الملهاة وفصلهما عن بعضهما فصلا كاملا التزم به مسرح القرن السابع عشر تحت ضغط نقاده «بوزويه وبوالو» وغيرهم من منظري الكلاسيكية الجديدة وسطوتهم وعلى العكس من شكسبير - الذي رأى الحياة بحلوها



ومرّها في صورة أشــمل وأكثر واقعية - فدسّ في صلب مآســيه مشــهدا ملهاويــا قصد به التفريج أو الترويــح comic relief بمعنى إعطاء المتلقي فترة قصيرة مقتحمة يلتقط فيها أنفاسه ويستريح مؤقتا من شحن المأساة كــي يعاود تلقيها ثانية. لقد فعل شكســبير ذلك بوعي منــه وإدراك كي لا يخطئ المخرجون - الآتون بعده - في توصيف وتنســيب ومعالجة مآســيه خطأ المخرج الروســي الكبير «كونســتانتين ستانسلافســكي» في تفسيره لـ«طائر البحر» باعتبارها مأســاة فتسبب في فشل وسقوط أول عرض لها الأمر. الذي جعل صديقه المؤلف «أنتون تشــيكوف» المســكين يصر على إعادة إخراجها باعتبارها ملهاة فأعيدت ونجحت نجاحا عوض الفشل الذي منيــت به أولا. وفي ذلك ما يفســر نص ملاحظة «ميللــر» المهمة جدا في ضرورة أن يقدم «الهازل والمأساوى بشكل كامل كما يتطلب الموقف من دون محاولة التخفيف من الإفراط فيهم» في تأكيد ممعن لواقعية المدينة وواقعية الأحداث ومشــاكل الشخصيات حتى ولو لم يعالج مسرحيته «الواقعية» تلك بأسلوب واقعي كما تبين القراءة وتوضح الدراسة».

وبالطبــع كانت المدينة / الحيــاة الأمريكية الحديثــة - كما في أغلب أعماله تقريبا - هي خياره الأمثل لهذه المسرحية بوقائع أحداثها وحوادثها.. بأشــخاصها وتناقضاتهم.. وبازدحامها متعدد الأجناس والأديان والمذاهب والأفكار والاتجاهات من تخمة وثراء وفقر وبطالة واحتياج وإيمان وفقدان يقين وانتماء وضياع وعقد نفسية وعنف وفي وجود تقدم تكنولوجي وعلمي وإفراط مذهل في القوة والتحكم والســيطرة لدولة تمثل النموذج المجسد والمتزعم لـ «الحضارة» و «حداثة» العصر و«تحضر» إنسان العصر:

ورغم ازدحام الحياة العصرية الأمريكية وصخبها وضجيجها ينتقي «ميللر» مساحة هادئة بعيدة عن كل ذلك في مستشفى وليس ثمة غير شخصيات قليلة وأفعال مضغوطة مبتســرة مركزة محصورة في زمان محدود ومساحة أضيق

جاعـــلا (بطله) محور الأحـــداث ومحركها رجل الأعمال ليمـــان فيلت البالغ الثراء والوريث لإمبراطورية رأسمالية ضخمة قويا وجذابا ومسيطرا ومزهوا بنفســـه معجبا ومختالا بها وبمواهبه إلى حـــد المغالاة exaggeration لكن ليس بدرجة يمكن أن نسميها شائعة معروفة ومألوفة؛ بل بدرجة أعلى تقربها لأن تكـــون صنواً ومحاكاة لـ «الغلوّ في تجاوز الحدّ» Hubris - Hybris الذي يميز البطل المأســـاوي اليوناني ويتسبب في مصيره الكارثي فيدمر سعادته ويـــودي بحياته. مثلما أضاف لعناصر وحيثيـــات تفوقه وتميزه - اللتين هما صفتان جوهريتان للبطل اليوناني المأســـاوي Greek tragic hero - تأكيدا دائمـــا بمزاياه ومواهبه التي إن لم تجعله فـــي عصرنا الحديث «الأفضل بين البشر» - مثلما كان الملك أوديب - لم تنكر انتماءه للزمرة القادرة المسيطرة والمتمكنة تمكنا يؤهله لارتكاب خطيئة «تجاوز الحد / hubris» ، في ســـياق صيغة وتحويـــرات عصرية بتقديم ميللر له باعتباره «ذكرا» شـــهوانيا فخورا بفحولتـــه مباهيا بها؛ وبكونه أبيقوريا مفرطا فـــي النهل من منابع اللذة وفي مقدمتها الجنس / المرأة. ورغم كونه ديونوزوســـي dionozisa النزعة؛ إلا أنه يخلو من لمســـة «أبوللونية» رهيفة ناعمة تبقت له من رغبته القديمة في أن يصبح شـــاعرا ومحاولاته في ذلك علاوة على حظه من التأمل والفلســـفة - حســـب نيتشـــة NIETZSCHE [1] - حيث تكفل كل ذلـــك بصنع جاذبيته وتفعيلها؛ مثلما أضاف لأبعاده الشـــخصية بعـــدا آخر مناقضا ومتعارضا مع ذلك البعد طي يتجســـد فيه التناقض الدرامي الثـــري المطلوب للصراع مع نفســـه أولا. وثانيا؛ كي يمنحه مســـحة أو غلالة الغمـــوض الضرورية اللازم للبطل والمثيرة للمناقشـــة حول تصرفاتـــه ودوافعها؛ مثلما هي مفجّرة لتعدد

(١) في «مولد التراجيديا من روح الموسيقى DER TRAGOEDIA aus dem Geiste der MUSIC DIE. GEBURT » .. أو في ترجمتنا عن لغته الألمانية أ.أ.

مواقــف «التلقي» والاختلاف بينها في الحكــم عليه تعاطفا أو تبرئة أو إدانة واتهاما. وأيضا بجعله رغم جســارته مترددا في أعماقه ترددا يكشفه النص ببراعة تتخطى الصياغة التقليدية للدراما من خلال الحوار والأحداث؛ بينما تتحقــق هنا بالحركة والإيماءة واللفتــة؛ مثلما تتحقق بتنقله من امرأة لأخرى دون ثبــات كبندول يتأرجح على الدوام فيقدم متهــورا على الزواج من امرأة ثانية هي اليهودية «ليا» علاوة على زوجته «ثيودورا / ثيو فيليت» المســيحية البروتستانتية التي تشارف الستين الآن والتي هي مثالية ومثقفة تتسم بالقوة العقلية والحيوية والنشــاط الذهني إذا جابهت شيئا أخرق وقاسيا. كما أنها أم ابنته «بيسي» التي لم يقم بطلاقها - كما سبق واتفق مع الزوجة الثانية ليا وتعهــد - دون أن يقدر على تنفيذ ذلــك نظرا لثقته المغالية في تقدير ذكائه وقدراته على الخداع ومواهبه. وكذلك لرغبته في عدم التفريط في أي منهما حيث يشتهيهما ويحبهما ويتلذذ بامتلاكهما والاستحواذ عليهما معا. لكن تلك المشاعر - التي يمكن القول إنها ليست غريبة على الرجل / الذكر- الذي هو صيّــاد بطبعه - تظل - فــي أغلب الحالات - غريبة غير مقبولة ولا متصورة لــدى الأنثى. أو فلنقل في الحالة الطبيعية الغالبة للمرأة / الزوجة المخلصة التي بحاستها السادسة تستشعر التناقض في طبيعة زوجها وفي داخل نفسه غير المستقرة التي تعرف كيف تقرأها عندما تسأله قائلة:

(- ثيو: لماذا يجلس ملك الموت دائما على كتفك. لديك مقومات الحياة أكثر من أي شخص آخر؟!).

كل ذلــك بالإضافــة إلى معاناته من عقدة خوف قديمة ســببتها معاملة الأب وقهــره المســتمر له منذ طفولته حتى اســتقرت كامنة داخل نفســه واستقرت فيها مختبئة متوارية خلف الثقة الزائدة والزهو بالنجاح والفحولة كدوافع ومكونات لتركيبة نرجسية متداخلة معقدة أصبحت قائمة في تكوينه «الأمريكــي العصري الحديث المعقد» مع رغبة فــي التدمير أو الانتقام -

ليس لذاته هنا بل للآخرين .. رغبة اكتشفتها المرأة الأخرى .. «ليا» الزوجة الثانية اليهودية وواجهته بها قائلة:

(- ليا: كانت لديك نزعة القتل ومازالت! ربما تتجه لي أيضا! .... لينبثق رده التلقائي عليها معترفا بعقدة أخرى هي «شـــعوره بالذنب» الكامن داخله والذي يعرفه ويعترف به:

- ليمان : ربما أهزم الذنب للأبد !)

لقد وقع ليمان في فخ خطيئة أخرى - أو أوقع نفسه فيها بثقته الزائدة ومراوغاته وتوهمه وأمله في أن تظل الزيجة الثانية سرا مكتوما لا تعرف به الزوجة الأولى - وهي «الكذب» على الثانية حين وعدها بتطليق ضرتها وعدا لم يف به حتى بلغ ابنه من الثانية تسعة أعوام وأصبح «يهيم به حبا» . مثلما زاد تعلقه هو الآخر به في ظل علاقة غير مكشوفة لا تعرف الزوجة الأولى ولا ابنته منها شـــيئا عنها. وليظل هو فـــي نظرهم جميعا - كل على انفراد بالطبع - نموذجا للزوج الرائع المثالي إلى أن تحين لحظة الكشف.. لحظة هتك الأسرار وافتضاح المخبوء بسقوطه من فوق الجبل ودخوله المستشفى ووضعه في جبيرة أبدع «ميللر» - في استخدامها استخداما مسرحيا فريدا يحولها فيه من مجرد شيء accessory إلى أداة فاعلة مشاركة في الحدث ومساعدة على لعبة «التمسرح theatricality» - بالاختفاء والتواري والانزواء والظهـــور- وحيث لا يمكن إغفال دورهـــا وملاحظة اللعب بها واللجوء إليها دراميا وعرضيا في تلقائية وببســـاطة مذهلة ضمن معالجة جادة ومنطقية تنفي عن النص شـــبهة الميلودراما نفيا كاملا رغم وجود بعض عناصرها أو شواهدها من عواطف جارفة وانفعالات مفاجئة ومتناقضة. ومن الاستعانة «التعبيريـــة» بالحلم وظهور حيوان / أســـد في مســـرحية لا بد وأن توصف بكونها واقعية رغم وجـــود بعض العناصر اللا- واقعية فيها والتي تثبت لها

طابعا جديدا مختلفا يدرجها في "مسـرح الحداثة وما بعد الحداثة" الذي تمثل عالمه بكل ما فيه من تناقضات وتشـوهات وارتباكات وشـذوذ وجرأة ولا منطق وإبـداع ونزق وتخطٍّ وقفزات وغرابة أو ما سـوف يتحول العالم مستقبلا إليه بل هو آخذ في التحول إليه بالفعل.

ثمة ملاحظة أخرى لا ينبغي تجاوزها حول معالجة «ميللر» المسـرحية هنا لـ «مفهوم الخطيئة» في مجتمع مسيحي غربي حديث وعلاقتها بالمفهوم الديني لها كما عالجه كتاب مسرح أوروبيون قدماء ومعاصرون - في أعمال مثل «كل إنسـان Jeder mann/ every man » الشـهيرة للكاتب النمساوي Hugo von Hofmannsthal ومـا تبعها من معالجـات عصرية متعددة [1] للكاتب النمساوي «فرانز كرانيفيتر ١٨٦٠-١٨٢٨ م في مسرحيته «الخطايا المميتـة» ثم «برتولـت بريخت» الذي كتب للمخرج «كـورت فايل» نصا عن المعاصي السـبع المميتة» عام ١٩٢٣م وكذلك «يوجين يونيسكو» الذي كتب مركزا على «الغضب» كخطيئة حتى بلغ المعالجات سـبعا. ربما كان أهمها معالجة الكاتب النمساوي المعاصر «فيلكس ميتيرر FELIX MITTERER» لأبطال مسرحيته «الخطايا المميتة» كضحايا ومجرمين في عصرنا الحديث وفي عمق المدينة الأوروبية وأغوار روحها ممثلا نموذجا رائعا لمسـرح «ما بعد الحداثة» الذي سـبقه فيه «آرثر ميللر» بهذه المسرحية - حيث الشهوة بلا حدود والمال بلا حدود والتقدم التكنولوجي بلا حدود - تعاود الخطايا التاريخية المميتة فعلها شهوة وحقدا وجبروتا وحسدا وبخلا وغرورا وتخمة؛ و تعاود الروح الأوروبية السقوط باقترافها وتأثيمها للفرد وشفقتها عليه في

(١) والتي أهمها مسرحية «الخطايا المميتة» تأليف الكاتب النمساوي المعاصر : فيليكس ميترير .. ونشرت بترجمة المخرج المسرحي المصري النمساوي «السيد قنديل » عن الألمانية مع دراسة نقدية لنا ومراجعتنا في سلسلة من المسرح العالمي يوليو ٢٠١٠م . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت . أ.أ.

نفـــس الوقت باعتبـــاره قاتلا ومقتولا .. جرحا وســكينا .. ضحية ومجرما .. بريئــا وآثما في ســجن هذا العصر أو خوائه. والــذي فيه رغم ازدحامه المخيف ورغم تقدمه وتطوره وإمكاناته تأثم الروح ويسقط ويختنق الإنسان وهو يظن أنه يصلح ويسمق ويتحرر.

نعــود إلى «ليمــان فيلت» بطل هذه المســرحية الذي رأينــا فيه - كما ســبق - صياغة لبطل مأســاوي حديــث يكمل بها ميللــر متتالياته الرائعة التي جدد فيها - وبتقنيات مســرحية جديدة ووســائط منظرية ســينمائية مفهوم « البطولة الإنسانية Human Heroism في مجتمع أمريكي معاصر معقد لــم يعد بطله - بالمعنــى التقليدي متميزا؛ مثلمــا أصبحت بطولته مختلفــة - في شــخص «ويلي لومان» بطل «وفاة بائــع متجول Death of a salesman». لكنه هنا - وكما ذكرنا - يعيد صياغة البطل المأساوي tragic hero القديم بمقاييسات ومواصفات وســمات عصرية بإعادة تعيين مفهوم البطولة واللعنة والخطيئة والصدع المأســاوي tragic crack وتدمير الذات self destruction» وصولا إلى الكارثة catastrophe.

أمــا الزوجة الأولى لـــ «ليمان فيلت» «ثيــودورا / ثيو» .. فهي مســيحية بروتســتانتية محافظة وملتزمة وابنة وزير قد وضعت كل ثقتها فيه وأنجبت له فتاة هي «بيســي» حيث اســتمرت بينهما الحياة المنعمة دون أن تفقدا ثقتهما فيه أو ينتابهما الشــك تجاهه - جزعا وقلقا عليــه وهو الأب الحنون الملتزم المثير للغيرة والإعجاب حتى وصولها إلى المستشفى - بعد علمهما بالحادثة التــي وقعت له حين هبط ســاقطا مــن على جبل مورجان في ســيارة بورش ووصولهما إلى المستشــفى. لكن المسرحية تبدأ قبل ذلك (حيث يظهر راقدا للعلاج على ســرير و ســاقه وذراعه موضوعان في جبيــرة العظام غارقا في ســبات عميق وفي وجــود الممرضة لوجان «زنجية» التــي تجلس بالقرب من فراشــه، تتصفح مجلة تحــت ضوء المصباح. يتمتم فــي غيبوبته تحت تأثير

المســـكنات أو المخدر متحدثا يتوهم أنه في اجتماع بشركته ومازالت عيناه مغمضتين).

- ليمان : شـــكرا، شكرا جزيلا لكم جميعا. تفضلوا بالجلوس. (تســـتدير الممرضة، تنظر إليه). لدينا موضوعات كثيرة ... ليســـت موضوعات ... نعم، موضوعات ... سنناقشها هذا المساء، لذا خذوا أماكنكم وليضع كل منكم ساقا فوق ساق لا - لا ... (يضحك بوهن) ... لا يضع أحدكم ساقا فوق ساق، اجلسوا فحسب ...

- الممرضة : هذا يؤثر على الجراحة بشكل كبير يا سيد فيلت. من المفروض أن تنعم بالراحة ... وإلا سيُغمى عليك؟

ثـــم يغرق فـــي تخليطاته حتى يدخل عليه أبوه في هيئة كابوســـية ضمن مشـــهد بارع يكشـــف عن عقدة الخوف القديم من الأب في مشهد افتتاحي بارع معنى ومبنى قصد به «ميللر» إلقاء ضوء قبلي مبكر على مكنون وشروخ الشخصية المتماسكة الواثقة المزهوة:

(يدخـــل الأب مرتديا قبعة من نوع بنما، يمســـك عصا، يدخن ســـيجارة ويجر قطعة قماش سوداء عريضة خلفه ثم يقترب ويميل على ليمان كما لو كان ســـيقبله؛ فيشد ليمان أعصابه وطلق صرخة ممزوجة بالخوف ودهشة متفائلة ... يعتدل الأب في وقفته، ويهز رأسه في أسى قائلا):

- الأب : سينعكس هذا على العمل بشـــكل سيئ. (يئن ليمان مُطمئنا) ما حاجتك إلى التزلج، هكذا وقعت وضحكن عليك. لا تناقش أمور العمل مع النســـاء. قد خلقهن الله لحكمة واحدة، أطع الله. أســـنانك بارزة، أذناك بارزتان، كل شـــيء بارز، آسف لقولي إنك فتى غبي

جدا، أنت خيبة أمل قوية. (يهز رأسه ويتحرك نحو الظلام). سينعكس هذا على العمل بشكل سيئ.

- **ليمان** : أعدك يا أبي! (ينادي) أعدك!

ثم تأتي إشـــارة أخرى لاحقة تكشف مقدما عن بعد عنصري متعال مهم من أبعاد شـــخصيته بصراخه (حيـــن يفيق ويفتح عينيـــه، ويرى الممرضة فيناديها صائحا:

- **ليمان** : أيتها السوداء؟

....

ومـــرة ثانية يعود إلى تخليطه وهلاوســـه محدّثا من معـــه في اجتماعه المتوهم أو الطافي من مخزن اللاشعور مغطيا على لحظة الوعي ومعترضا لها حتى تنبئه الممرضة بحقيقة وضعه:

- **الممرضة** : كُســـرت بعـــض من عظامـــك. يقولون أنـــك هبطت متزلجا من جبل مورجان في سيارة بورش؟

وباستمرار وتقدم الحديث بينهما حتى يعرف بخبر وصول زوجته وابنته فينتابه الغضب ويصرخ فيها قائلا:

- **ليمان** : أنصتي، أنا لا أستطيع أن أرى أي إنسان مطلقا، ولا بد أن ترجعا إلى نيويورك في الحال.

- **الممرضة** : لكن طالما أنت مستيقظ ...

- **ليمان** : الآن؟ أخرجيهمـــا من هنا، مفهـــوم؟ (وخزة ألم) آه! انصتي ... لا يوجد أي شـــخص آخر، شخص آخر؟ أتى ليراني؟



المرضة : لم أر أي شخص آخر.

- ليمان : من فضلك، اذهبي، لا أستطيع أن أرى أي شخص!

(تحتار،.. تخرج).

- ليمان : يا إلهي، كيف فعلت ذلك! يا إلهي، كان من الممكن أن أراهما وحسب! ... آه كم هذا فظيع، لا يمكن أن يحدث هذا، لا يجب أن يحدث! (ينزع نفسه من جبيرة العظام، يتحرك للأمام، ما يزال في رداء المستشفى، لكنه غير مضمد. الجبيرة لا تزال فارغة على الفراش كما كانت. عيناه متسعتان وهو يحدق في منظره الكارثى...) آه، أرى ذلك الآن ... بيسي تبكي، آه يا حبيبتي المسكينة! لكن ثيو لا تبكي... لا، - ثيو: متماسكة تماما، نعم... متماسكة وقوية...

(وفيما هو يتكلم تتحرك الأسرة خلفه بعيدا عنه، والكرسي ذو الأغصان مغطى بالرداء القطني والأريكة، وأثاث غرفة انتظار المستشفى تنتقل للداخل. الأضواء تتغير وتزداد إشراقا وتألقا نغمة عالية مبهجة. زوجته ثيودورا ابنته بيسي تجلسان على الأريكة).

- ليمان : لا . لا، لا يجب أن يحدث ...!

(يبدو متوترا للغاية، لكن بما أنه غير مرئي للآخرين فيمكنه أن يتحرك نحوهما، وأن يجلس بجوارهما، إلخ. لمعطف الفرو الخاص بثيودورا بجوارها، معطف بيسي القماشي في حجرها. ترتشف ثيودورا من فنجان شاي. فبنيانها قوي).

لكن هذا الموقف الأسـري العاطفي لن يستمر طويلا إذ يدمره حضور الزوجـة الثانية غير المنتظر وقد عرفـت بالحادث فيتعقد الموقف بالطبع تعقيـدا مفزعا يضطرب فيه وتبدأ السـطور الناقصة فـي الاكتمال حيث يتحول الجهل إلى علم ويكتمـل «التعرف الدرامي dramatic recognition» واضعا الجميع في مواجهة الاكتشاف الخطير الجديد ومصورا وضعه فيه وقد بدأ يتهاوى ويتقشر الغلاف المدعى ويتساقط القناع عن وجه ليمان .. القنـاع الذي اختبأ تحته طويلا وهاهما المرأتان / الزوجتان اللاتي سـعى جاهدا وطويلا كي لا تعرف الأولى أنه تزوج عليها مقلما تجهل الثانية «ليا» أنه لايزال محتفظا بالأولى وأنها في عصمته لم يطلقها. «ليا» اليهودية وقد أرادها ميلر - رغم ما يمكن أن يؤخذ على ذلك بكونه مقاربة متكررة لنموذج تاريخي ثابت ومعروف لرسم الشخصية اليهودية نمطيا - Stereotype في المسرح وفي الأدب الأوروبي والعالمي - لكنه في النهاية اختيار متعمد منه وليـس اعتباطيا بكل تأكيد. ربما لكي تكون الضد والطرف المناوئ المقابل لـ «ثيـو» - التي لم يخرج بها أيضا عن الصورة النمطية المعتادة للأمريكية المسـيحية البروتسـتانتية المحافظة - ربما لكي يضـع نموذجين مكونين للعقل الأمريكي في معادلة صراع وتقييم أو توضيح؛ هما العقلية المسيحية والعقليـة اليهودية وقد وقف بينهما محايدا فكشـف - بموقفهما من خيانة الـزوج وخداعه وكذبه - عن تفكير كل منهمـا وموقفه من الأخلاق والمادة والمجتمع والمال. وبما لا يحتاج هنا إلى تعليق أو توضيح سوى أن ميلر فعل ذلك برغم كونه يهوديا دون أن يفقد موضوعة الكاتب المسرحي في العرض وإن كان قد ترك لنا الحكم وهو يعلم مسبقا مع أي الطرفين سوف نتعاطف ولأيهما سـوف نتحيز - ليس نحـن العرب بالتحديد بـل جماعة المتلقين المتعاطين لمسـرحه في كل أنحاء العالم وفـي مقدمتهم أمريكا بالطبع[1].

(١) جدير بالذكر أنه في عام ٢٠٠٣ رفض ميللر تسلم جائزة القدس من رئيس الوزراء الإسرائيلي ارييل



وفي قراءة الموقف المتأخر الذي ضم الجميع يتضح الفرق والاختلاف بين المراتيـــن / الثقافتين. العقلين. الديانتيـــن - إذا أمكننا أن نقول ذلك تبعا لعرض ميللر نفسه - توضيح وتبيان:

(يترفع ثيو على قدميها. رأسها يترنح. تستدير نحو ليمان).

- **ليمان** : لا يمكنك بالفعل أن تتركيني يا ثيو، لا يمكنك!

- **ثيو** : أخشى أنه لم يعد... لدي شيء يا ليمان.

(تمسكها بيسي من ذراعها كي تذهبا، ليا تقف، كما لو أنها سترحل).

- **ليمان** : بيسي! ســأراك مرة أخرى، صحيح؟ أحيانا؟ (بيسي صامتة).

ليا؟ يمكنك أن تبقي قليلا، موافقة؟

- **ليا** : (في شــكل من أشــكال المراوغة): لــدي عمل في المكتب...

- **ليمان** : (بضحكة خائفة): كلكم راحلون؟ ما هذا؟!

- **ليا** : سأحاول أن أزورك غدا، لو كان بمقدوري...

- **ليمان** : (برعـــب واضح من نبرتها البـــاردة) أود أن تحضري بيني. (يقصد ابنه منها والذي أسماه بنيامين)

شارون، أو أحد وزرائه، وقال في تعليق له لا تنقصه الشجاعة «إن سياسة إسرائيل لا تستحق أي احترام، كما أعرب عن تقززه من سياستها واستنكاره لأسلوب تعاملها مع الشعب الفلسطيني حيث طالبها بأن تكون شجاعة وتعترف بحقوقه المشروعة، وأن تقبل السلام كخيار وحيد كما أن عليها أن تقوم بإخلاء المستوطنات خيار. أ.أ.



- ليا : لا أستطيع، إنه يوم دراسي ...

- ليمان : (مذعور) أنت لن تبعدي عني بيني؟

(لا تجيب).

- ستحضرين لي بيني يا ليا!

وهكذا يبدأ ليمان القوي في التداعي والانهيار .. ليمان الذي كان لا يجد غضاضة في أن يسأل مستنكرا:

- ليمان : لماذا ننظر إلى أن الزواج من امرأة واحدة هو أسمى شكل من أشكال العلاقات العائلية؟

فهل أراد ميللر بذلك أن يثبت سطوة المجتمع وقهره للفرد (البطل) حين يتمرد ويشذ عن أعرافه ومواضعاته وقوانينه فيتصدى بشراسة لـ(مسيحي أمريكي يتزوج امرأة ثانية) - مهما كان مركزه وسطوته ووضعه الاجتماعي؛ ومهما كانت درجة انتمائه وإخلاصه وتمثيله لأميز خصائصه؟ .. أم أنه - كذلك - يريد أن يسلب منه حيثيات البطولة التي يدعيها وأن يجرده من علاماتها ويسقط عنه شواهدها لكونه غير مستحق لأن يوضع في مصاف الأبطال باعتباره خاطئا أو مقترفا لخطايا تهدد النسق المعتمد للحياة الأمريكية ومصرٌّ عليها،.. بمعنى أن يوقفه ويدمره ما دام قد تجرأ .. وحيث يمكننا هنا أن نستعير تشخيص «كارل ياسبرز Karl Jaspers في خطورة تجاوز الحدّ Border line (١).

وإذا كانت ثيو مسيحية بروتستانتية محافظة وليا يهودية ومادية كما

(١) Karl Jaspers : ueber das Tragische



ظهــرت وفي غيــر اختلاف عن الصــورة التقليدية التــي لا ينكرها اليهود أنفسهم؛ فإن ليمان نفسه - ليمان «الأمريكي» بالفعل والمتجسدة فيه صورة أي أمريكي قح؛ هو أصلا ألباني من أم يهودية!

والســؤال الآن: لمــاذا هو ألباني بالــذات؟! هل يريــد ميللر بذلك أن يشــير إلى كون أجداده مسلمين وأن في دمائه تكمن مواريث وخلايا وراثية Genetic cells تبيح وتحلل تعدد الزوجات؟ .. إنه لم يقل ذلك صراحة لكنه طرحه في كلمة وتركه لنا كي نفسر ونؤول!

كمــا أن في ذلك تأكيدا للخلطة العرقيــة الأمريكية ورغبة في قول؛ أنه مهما صهــرت جيدا وتفاعلت عناصرها معا تظــل جذورها الجينية فاعلة ومؤثرة لكنها تحتاج إلى أســئلة ومواقف تثيرها أو اســتبطان لها في موقف مثلما فعل ميللر بشخصياته.

- **ليا** : (تنظر إلى ســاعتها) لا بد أن أعود للمكتب. لكن هل اسم ليمان ألباني؟

- **ليمان** : ليمان هو اســم قاض في ووستر، هو الذي منح أبي الجنسية.

فيلت هو اختصار فيلتمان، اسم عائلة أمي لأن اسم أبي لم يكن واضحا وطلبوا اسم شخصية أمريكية ناجحة للولد.

- **ليا** : إذن أمك كانت يهودية.

- **ليمان** : ومصدر كل صراعاتي. فــي الذاكرة اليهودية محام وقاض، وفي الذاكــرة الألبانية قاطع طريق يتحدى الحكومة بسكين.

- **ليا** : يا لها من مفاجأة تصدر عنك! (تقف، ويقف).

- ليمان : أن أكون سخيفا جدا؟

- ليا : أن تكون ممتعا، وفي مجال التأمين.

- ليمان : (يمسك يدها) متى كانت هذه اللحظة؟ يقتلني الفضول.

- ليا : لا أعرف ...أظن على مائدة المؤتمر فجأة تذكرت «كان يتحدث معي بشكل أساسي». لكنني استدركت أن السبب في كونه بائعا ماهرا، لأن كل من يتحدث معه يشعر بالألفة.

- ليمان : تعرفين؟ لم أقم علاقة مع فتاة يهودية من قبل.

- ليا : حسنا، أنت أول رجل ألباني أعرفه.

- ليمان : لديك وقار في عينيك. ليس قديما أو عتيقا. مثل بني وطني.

مرة أخرى نؤكد أن قيمة هذه المسرحية - ليس في عمق تناولها التحليلي لشخصيات ومجتمع يضمها - بل كذلك وبالدرجة الأولى في تركيبها وتعقيد مشاهدها وتداخل أزمنتها معا وتخارجها منها لكن في هندسية رائعة منضبطة وقد تحولت فيها كل الشخصيات إلى ما يشبه المحاكمة. محاكمة لنفسها ومحاكمة لغيرها. محاكمة للموتى ومحاكمة للماضي ومواجهة للحاضر وهلع مما يأتي به المستقبل. كل ذلك موزع على أشخاصها في «موضوعية عادلة» من المؤلف جعلت حكاية زوجية معتادة وكذبة شائعة «ميلودرامية» . هذا إن نحن جردناها من صنعة التعامل معها بالتقنية المستحدثة وبمهارة التشييد التي وهبتها عمارة / بناية مركبة مليئة بالتفاصيل في وصف المشهد والحركة والإيماءة. وباستخدام بارع

للحظات الصمت والتأمل، وباستدعاء الماضي وتسليطه على الحاضر كي يهدده، وبكشف محاولات اعتراض حضوره وتوقيفه وإعاقته كي لا تتكشف أكاذيبه مهددة بحدوث الفضيحة ومنذرة بتفكك شمل الأسرة وتشويه كيانها الاجتماعي وتأثير ذلك على العمل / الشركة / المشروع المالي الضخم. وكي لا يتحول الحاضر - بفعل هتك أستار الماضي - إلى مصير يلوي ذراع المستقبل الذي كان كل طرف فيهم قد خطط له أو على الأقل توقع مكانه ومكانته المضمونة فيه مطمئنا وواثقا.

مرة ثانية نتساءل: ما الذي يمكن أن يكون قد أنقذ المسرحية من الهبوط إلى دائرة الميلودراما المكررة والانحسار فيها سوى مهارة مؤلفها باعتباره «صانعا ماهرا» نجح - كعهده دائما - في التركيب والصياغة بمعالجته الحدث العادي الشائع المألوف معالجة «تقنية» أعمق وبأسلوب لا نقول إنه جديد تماما على مسرحياته؛ بل نؤكد أنه أكثر غنى وإمعانا في التركيب والتداخل والتعبئة بالمواقف والانفعالات والأفعال المتوقعة أو المفاجأة أو الغريبة الصادمة التي حولت «حكاية شائعة ساذجة - ومن الممكن معالجتها في كوميديا ناجحة أو في Soap Opera لرجل أخفى زواجه الثاني عن الزوجة الأولى وخدع الثانية. لكن ميللر فضل معالجتها في دراما جادة لرجل كذب على الزوجة الثانية مدعيا تطليقه سابقتها مثلما خدع المجتمع حين خالف أعرافه وخرج على أخلاقياته moralities وثوابت أعرافه التي تنكر على رجل الجمع بين زوجتين رغم عدم اندهاشه «المطلق» بل وقبول تعدد العشيقات قبولا اعتياديا ربما زاد عليه قبول بعض أفراده تبادل الزوجات والأزواج مع استنكار آخذ في التضاؤل ودهشة حل محلها القبول أو يحل بالتدريج في مجتمع أباح زواج المثليين!! إن ميللر يترك لبطله الفرصة كي يقوم بعقلنة ومنطقة أفعاله المؤثم دينيا والمخالف اجتماعيا؛ والذي يؤمن أمام نفسه وفي محاسبته لها بأنه لم يقم بإيذاء أحد من عائلته

أو الإضــرار به طالما ظل ناجحا في إبقاء الموضوع مطويا السـر في آبار الكتمـان؛ خاصة مـع ثقته وصدقه في كونه قد أسـعد الزوجتين وأمتعهما مثلمـا دلّل الابنة وجعـل الولد - ابن الثانية يهيم به حبا ويتشـبث به تعلقا وكذلك المرأتان وفي نفس الوقت أمتع الذكر / الصياد الرابض داخله؛ كما اسـتمتع بتفعيل ذكائه وتجريب مواهبه وإن بقيت شـوائبه وعقده كامنة في أعماقـه وبقي الخوف القديم من الأب رابضا كجرثومة متحوصلة تنشـط حال ضعفه وتخمد حال تماسكه حتى يصيبه الانهيار الأخير فيتفكك تماما ويعترف ويخرج خوفه معلنا وندمه بيِّنا.

كما برع ميللر في تتبع جذور عقد بطله باسـتدعاء مشـاهد من طفولته - التي لم تكن سـهلة - أمام الأب؛ واستحضار «الأب» المتوفى استحضارا «جديدا» حين لم يحصر وجوده أو يبرره أو يفرض علينا تأويله بكونه شبحا تقليديـا بل تركه كمادة لمهاجمـة ليمان وموضوعا يسـتدعيه كلما حلّ به الخوف أو انتابه الندم أو أرهقه الضعف أو احتاج إلى اعتراف - ولو مؤقت - وضمير يستيقظ مرات كي يطهره.

- ليمان : (إلى ليا) أنا أثق بك ... أود أن أخبرك بشيء.

(وقفة يشـوبها حذر مطلـق) .. ذات مرة حملت مني فتـاة رائعة كنت أعرفها منذ وقت طويل. أخجل من ذلك، أقنعتها بأن تحتفظ بحملها. كنت مجنونا بها. لكن كان علي أن أنهي العلاقة أو أفقد زواجي. كُنت معذبا.
بعد سـبعة عشر عاما كنت أنهي إجراءات سـفري على شركة بان أمريكان في مطار لوس أنجلوس، ورأيت هذا الشـاب أمامـي في الطابور. صورتي المنسـوخة، واضحة تماما. عندما قدم تذكرته على الكاونتر نطق الموظف اسـمه، بالتأكيد كان اسـم أمه. جلسـت في مواجهته في منطقة الانتظار. شعرت بالشلل في أوصالي.

- ليا : لماذا لم تُقدم نفسك له!

- ليمان : حسنا، كان ملبسه ينم عن فقره ... وكانت نظرته تعيسة. كان من الممكن أن يشعر بأنني خدعته. كنت متيقنا من كراهيته لي.

إن خطايا ليمان إذن ليست واحدة أو اثنتين بل كثيرة ومتعددة. كما أن ثباته ليس إلا ظاهريا وتماسكه يخفي هشاشة داخلية مهددة. إنه كائن صوّره ميللر حاملا لكائنات متعددة ومتناقضة اسمها أيضا «ليمان فيلت» وهو جماعها أو حزمتها أو اجتماعها معا وفي ذلك يكمن ثراء شخصيته وتناقضها .. متعته وعذابه معا .. نبله وخسته .. رقته وقسوته .. كما يربض فيه الشاعر جنبا إلى جنب مع الرأسمالي والشهواني مع التطهري النزعة .. والتسامح المسيحي مع الغطرسة اليهودية الأمر الذي حشد بنفسه وعقله وقلبه الكثير من البقع المظلمة والعقد التي لم تحل والهواجس المبكرة خوفا من الموت:

- توم : لماذا أنت مكتئب؟

- ليمان : قليلا، ربما. (تكشيرة إنكار الذات). سأبلغ أربعة وخمسين عاما في شهر يوليو القادم.

- توم : أظن أن الخمسين عمر ....، أكثر حزما وصلابة ونضجا.

- ليمان : مات أبي في الثالثة والخمسين.

- توم : حسنا، اجتزت أكثر مراحل الحياة صعوبة. على أي حال أنت أفضل حال من أي شخص عرفته.

- ليمان : كلامك يخالف الواقع.

- توم : هناك خطب ما يا ليمان؟



- ليمان : (وقفة قصيرة، يقــرر أن يفصح عما يختلج بصدره) كنــت أتنــاول طعام الغــذاء اليوم فــي مطعم الفور سيزونز، وبينما كنت أهم بالوقوف فإذا بتلك المرأة ذات الفســتان الجميــل، والتي ترتســم على وجهها ابتسامة تميل فوقي قائلة: «أتمنى أن يباغتك الموت أيها السافل». أنت تعرف قصدها.

توم : لا أصدق أن ذلك ما يزال يحدث.

ليمان : آه، ثلاث أو أربع مرات خلال عام، لا يقلن ذلك فجأة، لكن معظم الناس ما يزالون يظنون أنني أبلغت عن شــريكي لأنقذ نفســي من دخول السجن. والذي ربما يكون قد قمت به، لكن لا أظن كذلك، أعتقد أن راؤول دفع ثمن الفترة التي كان فيها محتالا.

(يبتســم) لكن لم تتغير مشاعري تجاه ذلك السافل التافه. عشنا سنوات عظيمة بنينا فيها الشركة.

توم : حسنا، وقد عُظم شأنها.

ليمان : قمت بالشيء المناسب، إنه اتهام بالجبن ... (ينهار). حسنا، اللعنة، عشت حياتي وأرفض أن أخجل منها! سأتحدث إليك لاحقا.

(يقف، لكنه يتردد في الرحيل).

توم : هل هناك شيء آخر؟

ليمان : لا أظن أنني مستمتع بشكل كبير.

لكن خوفه المهدد دائما وعقدته كانت من الأب وبســببه ولذا فقد جعله ميللــر معاودا للظهور في مواقف متعددة مســتخدما مهارته في التعامل مع «العناصر التعبيرية» التي يعشــقها في المســرح وصانعا بها تعبيرية دائما طازجة وخاصة به. مثلما يجسد مشهد «الأسد» ثراءه التعبيري والرمزي معا في مسرحية هي «واقعية» بالفعل. لكن واقعية ميللر مختلفة بثرائها وبجرأته وقدرته الفائقة على اســتخدام عناصر مســرحية متباينة المذاهب متعددة الاتجاهــات من دون أن تفقد أفقهاharmony أو توحدها الوظيفي لخدمة «العــرض performance» وخدمة «عالم المعنى»، وقد وُظِفا معا. فمن أجل خدمــة العرض قام الخيال الخصب بابتكار دور ووظيفة وهيئة واســتخدام لـ «الجبيرة» غير مســبوق حين جعلها للبطل ملجأ وملاذا وكهفا يختبئ فيه كي يســتمع ويتنصت ويراقب. وحين يقوم بفصله عنها أو إدخاله إليها. كما أعطته «التعبيرية Expressionism والتأثيرية هباتها بإلهامه اســتخدامات وتوظيفات للضوء والعتمة واللون والمســاحة والظل متخيلا تحول المسرح إلى لوحة مشــحونة ليس بمفردات «العالم الأمريكي» وأشخاصه وحدهما؛ بل بمفردات اللاشــعور وحشــوه المكتظ من مخلفــات الماضي والحاضر العالقة بالســطح في نفســه والغائرة في أعمق أعماق ظلمتها كذلك. وهو أمــر يلقي على المخرج الذي يقرر المغامرة - ويتصدى للنص - عبئا ثقيلا أولا في الفهم والتفسير interpretation. ثانيا في «التأويل hermeneutic» أراد اكتشــافا لما بين الســطور وطمح لقراءة ما في ظهر الصفحة ليتعرف عليه ثم يســتفيد منه. ثالثا في «التجســيد» figuration. ورابعا في القراءة السيميولوجية للعلامات والإشارات والأيقونات. ثم خامسا في ضبط الإيقاع المطلوب لعمل مثل هذا متعدد الصور والأشــكال والمواد والخامات بشرية وغير بشرية .. صوتية ومرئية لتحقيق تضافرها في صناعة المشهد الكلي بمكوناته ضمن ســينوجرافيا كلية شــاملة للعرض تحفظ له جديته دون أن تهدده «عناصره التعبيريــة expressive elements فتصيبه بالبهرجة التي

تظل بمثابة خطر ميلودرامي مهدد للجدية وللمنطقية في الطرح وكذلك في التلقي.

يتبقى من الشخصيات .. بيسي ابنة ليمان .. وهي مخالفة بالفعل للتوقع المرتبط بالتراث الكلاسيكي للابنة في موقفها بين الأم الخائنة أو الأب الخائن وإلى أي منهما تميل؟ .. وحقيقة فقد وجدتني - كناقد - مراود بتلك الهواجس مهدد بتلقيها كإرث من «إليكترا» أيسخيلوس وسوفوكليس و فرويد. لكن ذلك التصور القبلي المتعجل تم نسفه بعجلة أيضا مع قراءة السطور الأولى ومع بداية مشاهد «بيسي» وموقفها وكلمتها الحادة المقتضبة الموجهة لأبيها «ليمان» الذي تحبه ويحبها كثيرا لكنه وقد نهار التمثال في نظرها؛ تبعده وتنتقده تدفعه عنها دفعها لضرة الأم وغريمتها «ليا» فقد أراد لها «ميللر» أن تجسد نقاء الانحياز الطبيعي لأم معتدى عليها وزوجة خدعت طويلا من رجل تحبه. وبالتالي فقد سمح للبنت أن تتجرأ على أبيها بل وتحتقره دون أن يعني ذلك حرمانها من عذاب يوجعها حين خذلت فيه كمثل أعلى. ورغم ذلك فلم تفقد صبغتها الأمريكية حينما يناقش موضوع متعلق بالجنس أمامها وتعلق عليه بشكل طبيعي تماما. إنه بيسي في هذه المسرحية تبدو وكأنها تنويع جديد على شخصية "أنتيجونا» مع أوديب بعد انهياره ولكنها هنا داعمة للأم بعد انكسارها.

أما «توم» المحامي الذي حضر برفقة «ليا» فور علمها بخبر الحادث الذي تعرض له ليمان؛ فقد وظفه ميللر بإتقان كي يلعب دورا أكثر أهمية من كونه المحامي. فلأنه يعرف ليمان معرفة جيدة ولكونه عللا علاقة وطيدة بالأسرة فقد أصبح وكأنه المحلل النفسي الذي تلقى عليه الأسئلة ويلقيها ثم يبدأ دوره في التوضيح والكشف والتفسير. مثلما يصبح ناقدا ومنتقدا وضميرا.

- ليمان : أعرف. كنت أعتمد دائما على إحساس الواقعية

الذي تمتلك ناصيتـــه، خصوصا فهمها العميق لهذا الوطـــن. لكنني لا أريد أن أتســـم بالخـــداع أكثر من ذلك، كرهت كل أشـــكال الخـــداع. أصبحت نازيتي أسوأ أشكال الرعب، أريد أن ألبس وجهي الحقيقي كل يـــوم حتى أموت. أم أنك تظـــن أن هذا النوع من الأمانة ممكن تحقيقه؟

توم : لست مضطرا لأن أخبرك بأن المشكلة لا تكمن في الأمانة، لكن كم مرة أصبت بها الآخرين.

ليمان : حقـــا . ماذا عن دينك؟ لكن لا يوجد حل له أيضا كما أظن.

توم : لا أستطيع أن أتخيل أنك تصلي بطريقة ما يا ليمان. (وقفة قصيرة)

ليمان : هل توجد إجابة.

توم : لا أعرف، ربما كل ما يستطيع أن يفعله كل إنسان أن يأمل أن ينهي آثامه بالندم الصادق.

ليمان : (لحظة صمت) هل تعرضت للخداع من قبل يا توم؟

توم : لا.

ليمان : أتحلـــف باللـــه؟ رأيتـــك تتلصص علـــى الفتيات في المنطقة.

توم : إنها الحقيقة.

ليمان : هل هذا هو الندم الذي تنهي به آثامك؟

(تـــوم يضحك بخجل، ثم يشـــاركه ليمان الضحك، وفجـــأة تطفو معاناة ليمان على وجهه.)

وهكذا نرى «توم ويلســـون» ليس مجرد المحامي التقليدي ولكنه ضمير موجع ومحلل نفســـي ومحقق وبديل للمتلقي أحيانا حين يقول ما نريد قوله أو التعليق به وكأنه الجوقة اليونانية الشاهدة على الأحداث دون أن تعترض مســـيرة وقوعها؛ مثلما هو بالآتي متوقع لحدوثه لكنه لا يســـتطيع له دفعا. إن غلالة من الحتمية القدرية تغشـــي هـــذا العمل وتغلفه بضبابية من توقع الكارثة. (هل لنا أن نتذكر مسرحية حفل كوكتيل - T.S. ELIOT ؟)

وبالتأكيد فإن «توم» بسمته هذه وبأسئلته وهدوئه يسمح لذلك الإحساس أن يتســـرب متغلغلا في إبداع رائع لتراجيديا حديثة هي تراجيديا ســـقوط ليس لفرد بل لحضارة - إذا جاز لنا أن نســـميها كذلك - بكاملها يجسدها ذلـــك الفـــرد ويمثلها وإن كان الأفضـــل والأوفق أن نســـميها «الروح» الروح الأمريكية. روح العصر.

- ليمان : اللعنـــة، كان ذلك قاســـيا يـــا توم، ســـامحني، هل ستسامحني؟ اللعنة، لماذا أسمح لنفسي بأن أكتئب؟ إنه ذنب عديـــم الجدوى، هذا هو بيت القصيد! هنا أبدأ من لا شيء، أخلق مائة واثنتين وأربعين فرصة عمل للناس، وأرِّقي بما يربو على ســـتين عاملا من فقراء الزنوج لوظائف مكتبية عندما كان ذلك صعب التحقيق، لا بد أن أكون فخورا بنفسي، سافل! وأنا! أنا! (يضـــرب على المكتب، ثم يهـــدأ، ينظر للأمام وللأســـفل.) .. أنا أحـــب وجه نظـــرك. ذلك النهر الأحمـــر الذي يعكس الأضواء ينســـاب عند شـــارع

المتنزه في ليلة شتوية، وكل هؤلاء النساء البيض اللاتي يلبسن الملابس الحريرية، يعبرن داخل تلك السيارات الليموزين الدافئة ... اللعنة، هل يمكن أن توجد صورة للعالم أكثر إثارة؟

(يستدير نحو توم.)

أنا دائم التفكير في أبي، كيف كان مرتبطا بحياته، لم يكن يستطيع أن ينتظر ليفتح المتجر كل صباح ليفرز المخللات، ويعيد رص براميل الزيتون، بَشر بهذا الوصف يعرفون الشيء الرئيسي، الذي هو ماذا؟ ما هو الشيء الرئيسي، هل لديك علم؟ (توم صامت.) انظر، لا تقلق، لا أستطيع أن أتخيل نفسي من دون ثيودورا، هي عظيمة، زوجة عظيمة! .... أحب تلك المرأة! الحديث معك مفيد دائما يا توم».

لكن شخصية واحدة رغم أهميتها لا تظهر .. تلك هي «بني» أو بنيامين ابن ليمان من ليا. ورغم ذلك تحوم دائما وتحلق على المكان بوجودها وبلهفة ليمان عليها في رصد وتصوير لمشاعر أب إنسانية وطبيعية تجاه زوجة / أنثى - فرغت منه وتخلصت نفسيا - تعذبه بحرمانه منه أو التهديد به .. وبشكل إنساني وطبيعي أيضا.

أما «لوجان» الممرضة الزنجية فقد أراد بها ميللر أن تكمل مفردات اللوحة الأمريكية أو العرض الأمريكي فقدمها في علاقاتها مع "السادة البيض» في وضوح موضوعي دون تلوين أو تهويل .. بدءا من تعالي "السيد ليمان عليها» إلى ارتمائه في حضنها ضعيفا وضائعا ووحيدا .. رجل مهزوم يحتاج إلى المساندة من إنسان حتى ولو كانت الممرضة الزنجية في أمريكا وحيث يظهر «غناها / ثراؤها لقناعتها أمام "فقره" الآن!

- المرضة : تشعر بالألم؟ (لا يجيب) سآتيك بدواء يخفف عنك الألم.

- ليمان : لا تتركيني وحيــدا، مفهوم؟ أحتاج وقتا قصيرا؟ من فضلك. اجلسي معي.

(يربــت علـــى المفرش) تعالـــي، لا تخافي. .... (تقتــرب من الفراش مترددة، يســحبها لتجلس بجواره. ..... يمســك يدهـــا.) عالمان مختلفان فحســب، أتفهمين؟ النســاء تريد حياة آمنة، لكنها خطيرة. هكذا. ليس في وسعنا شيء. إنها فظيعة. ومع ذلك نعيش فيها.)

- المرضة : (لا تعلــن موافقتها) دعني أعطيك شــيئا. (تبدأ في سحب يدها.)

- ليمان : (يتشـــبث بيدها) عشـــر ثوان أخرى، أحب دفئك يا لوجان. دفء. المرأة هي آخر الأشياء المقدسة، أنت قطعة من الشمس، السحر الأخير. الذي يذكرني... (يقبل ظهر يدها، ثــم يتركها.) عندما تكونين هناك تصطاديــن على الجليد مـــع زوجك وابنـــك ...عم تتحدثون؟

- المرضة : ... حســنا، ســأقول لك... المرة الأخيرة اشــترينا كلنا بعض الأحذية من سوق «ناب» الكبير للأحذية؟ أحذية مستعملة، لكنك لا تميزها من الجديدة.

ليمان : إذن تحدثتم عن أحذيتكم الجديدة؟

المرضة : حسنا، كانت مشتريات كبيرة.

ليمان : حسنا، ممتع، من الممتع القيام بذلك. لا أعرف السبب،

لكنه ممتع.

الممرضة : سأعود فورا. (تهم بالذهاب)

ليمان : أتكرهينني؟

الممرضة : (تهز كتفيها محرجة) لا أعرف، سأفكر في ذلك.

ليمان : ارجعـــي للـــوراء قليلا، هــه؟ أنا مازلـــت مهزوزا... قليلا.

(تميل وتقبل جبهته)

هكذا يتبدى الأصل الإنســـاني / الفطـــرة نقية طازجة رائعة صادقة في بســـاطة وتلقائية تماما وكأنهما من أبطال تشـــيكوف: عظام وضائعون كبار وأطفال في نفس الوقت .. وبلا مبرر أو فهم أو تفسير فيا للروعة! ويسأله ليمان «السيد المليونير الأمريكي»:

- **ليمان** : لماذا تفعلين ذلك؟

- **الممرضة** : بلا سبب. (تخرج)

- **ليمان:** (اندهاش مؤلم وشوق يعتليان وجهه، عيناه متسعتان، الحيوية تدب في أوصاله)... كل شـــيء معجزة! بالتأكيد كل شيء ! تخيل... ثلاثتهم يجلسون معا هناك عند البحيرة، يتحدثون عن أحذيتهم!

(يبدأ في النحيب، لكنه يضبط نفســـه ســـريعا، وبمعاناة داخلية يحدق في الأمام.)

إن المليونير مندهش من قناعتهم وبساطتهم وسعادتهم وبالنسبة له فهي معجـــزة! لكن هـــذا هو الحل الوحيد .. فليس أمامه من مخرج متاح ســـوى

الإنخراط في ضياعه... وكأنما نستمع خلف نحيبه إلى صوت الجوقة في «أوديب» سوفوكليس مع النهاية تردد:

«لا تقل عن إنسان إنه عاش سعيد إلى أن يدركه الموت»

لقد أشرنا إلى الاستخدام المبدع المبتكر لـ «الجبيرة» وعلاقتها بالشخصية .. وعن لحظات الاختفاء والصمت والتنصت والمراقبة .. وعن العناصر غير الواقعية في العرض عن الضوء والظل والعتمة والصوت والصورة كما استخدمها آرثر لميللر في براعة. لكننا لم نتحدث عن لعبة "التمسرح theatricality وعن المجسمات والحيل وكل ما تشمله وتوفره وتتيحه «التعبيرية» في المسرح ولكلا النص والعرض .. المؤلف والمخرج . لكن هذه الجرأة من آرثر ميللر تستدعي الانتباه وهي تلفت النظر إلى حالة الحداثة وما بعد الحداثة وفي حرص يبعدنا عن التقعرات والتخرصات المألوفة من النقاد والإسكولائيين - المدرسيين - الأكاديميين. لكن ألا تعكس المسرحية سمات عصر ما بعد الحداثة ومؤشراته ونذره حين تعكس «الإحساس العميق بالقلق الذي سوف يسيطر على الغرب ومعه العبث وفقدان الأمل والعجز. فحين يأتي عصر ما بعد الحداثة سوف يظل الوعي وسوف يصبح غير قادر على الاحتفاظ بمفاهيم العدالة والحقيقة والعقلانية التي تنهض عليها حداثة الغرب. حيث سيصبح الوعي آنذاك دون مركز ويصير مجرد وظيفة تتقاطع من خلالها القوى الشخصية فيما يصبح الفن مجرد سلعة بعدم تعبيره عن الروح الإنسانية. كما سوف تفقد المعرفة مهمتها النقدية وتتحول إلى مجرد وظيفة.

حين يقول إيهاب حسن إن سمات الحداثة هي «اللا توجه، التمرد، الشذوذ، التحويل التشويهي، والمفهوم الأخير يدل وحده على مجموعة من المصطلحات الواهنة حول التهديم: اللا إبداع، التحلل، التفكيك، اللامركزة،

الانزياح، الانقطاع، التقطع، الاختفــاء، الانحلال، اللا تعريف، اللا كليانية، اللا شرعنة الانقطاع، هرطقة الخروج على المألوف، التعددية، العشوائية - إذا وضعنا جانبا مصطلحات تقنية أخرى تشير إلى بلاغة المفارقة، والشرخ والصمت، وفي القرار من جميع هذه العلامات تتحرك إرادة واســعة باتجاه التهديم، فتؤثر على كتلة السياسة، وكتلة المعرفة، وكتلة الإيروتيك، والباطن النفسي الفردي، أي كامل الكون الخطابي في الغرب»(١).

ألا تنذر«الهبوط من جبل مورجان» بكل ذلك؛ بل ألا تعكسه كواقع بالفعل بحيث يمكن إدراجها كنموذج لعصر ومســرح ما بعــد الحداثة معنى وفكرا من منظور اســتخدامها لمفردات تكنولوجيا عصر يتقدم مندفعا كي يصبح كذلك؟ سؤال تتكفل القراءات المتعدد بإجابته وإن كنا متأكدين من نجاحها في تحقيقه ذلك تحقيقا يثبت آرثر ميللر في صدارة كتاب المسرح في القرن العشــرين وإلى الآن بكل ما كتبه وتنبأ به وبكل مواقفه الإنسانية والسياسية مواجها ومقاوما للعنف والتعصب وللشوفينية والاستبداد والتمييز. ثم يتبقى لنــا تعليق مهم عن الحوار .. عن اللغة المتفــردة - ليس ببلاغة تقليدية أو جمال أسلوبي كأدب - بل بكونها لغة درامية حقيقية تنطق فيها كل شخصية «لغتهــا الخاصة» حاملــة ثقافتها وعقدها وفاضحة .. ســاترة خلجاتها أو مشــيرة إلى عالمها الداخلي عمدا أو عفويا. لغة غنية بالتلميحات السريعة والتعليقات التي تحتمل التأويل والتأويل المضاد .. لغة تفجّر معاني ودلالات رغم اقتضابها وتلزم بالصمت والاســتماع حال إســهابها حتى لكأنها تغوي بل وتطالب بدراســة مســتقلة مفصلة فــي كافة تنويعاتهــا المتباينة كنتاج للانفعال الموحد لدى كل الشــخصيات؛ أو كتعبير عن الانفعال الخاص بكل شــخصية مع بحث جرســها وإيقاعها وصداها وعلاقــة كل ذلك بالموقف

(١) فخري صالح - مجلة نزوى . الأسس النظرية لما بعد الحداثة .



الدرامي والحالة النفسـية والمزاجيـة لرائعة آرثر ميللر هذه التي يمكن أن توصف بكونها نموذجا للحداثة وإرهاصا بما بعد الحداثة في المسرح معنى ومبنى.

أستاذ دكتور أسامة ابوطالب



السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور:
أسامة إبراهيم أبو طالب

عمل وكيلا لوزارة الثقافة المصرية رئيس المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية ورئيس الإدارة المركزية للبيت الفني للمسرح ومستشارا للثقافة والإعلام بمجلس الشعب المصري عام ٢٠٠٥م. ورئيسا لقسم النقد والدراما بالمعهد العالي للفنون المسرحية. الكويت. حاليا أستاذ الدراما والنقد المتفرغ بأكاديمية الفنون. القاهرة .

• المؤهلات العلمية:

١- بكالوريوس في إدارة الأعمال - كلية التجارة جامعة عين شمس. ١٩٦٦

٢- بكالوريوس في النقد والأدب المسرحي بامتياز مع مرتبة الشرف. المعهد العالي للفنون المسرحية. أكاديمية الفنون، القاهرة ١٩٧٥.

٣- ماجستير في الدراما والنقد بامتياز مع مرتبة الشرف. المعهد العالي للفنون المسرحية أكاديمية . الفنون. القاهرة ١٩٨١ وموضوعه:

(المسرح الشعري الحديث .. دراسة مقارنة - إشراف أ.د. محمد القصاص)

٤- دكتوراه في الدراما والنقد - المعهد العالي للعلوم المسرحية بجامعة فيينا ... وموضوعها:

(الإسلام وظاهرة التراجيديا - دراسة أنثرو ثيوتياترالية مقارنة في ضوء الدراما المسيحية. بدرجة امتياز ومرتبة الشرف).



السيرة الذاتية للمترجم
الأستاذ: عبد السلام إبراهيم

عبد السلام إبراهيم - روائي وقاص ومترجم مصري. درس الأدب الإنجليزي، له العديد من الإبداعات، حصلت روايته «الطوّاب الأكبر» على جائزة بهاء طاهر باتحاد كتاب مصر.

الإصدارات

١- قادش الحرب والسلام (رواية) عن دار الهلال.

٢- كوميديا الموتى (قصص) عن الهيئة العامة لقصور الثقافة

٣- الطوّاب الأكبر (رواية) عن الحضارة للنشر،حصلت على جائزة بهاء طاهر باتحاد كتاب مصر

٤- مسافة قصيرة جدا للغرق (قصص) عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الترجمة

٥- اللعب مع النمر ومسرحيات أخرى، دوريس ليسينج عن الهيئة العامة للكتاب.

٦- عشر مسرحيات مفقودة، يوجين أونيل عن المركز القومي للترجمة.

٧- ثلاث مسرحيات، كليفورد اوديتس عن المركز القومي للترجمة.

٨- ثلاث مسرحيات د. هـ. لورانس عن المركز القومي للترجمة.

٩- رواية فوس، باتريك وايت عن الهيئة العامة للكتاب.

١٠- دوريس ليسينج مختارات قصصية مع مجلة الثقافة الجديدة.

١١- الراكبون إلى البحر ١٠ مسرحيات قصيرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

١٢- مختارات قصصية أدباء جائزة نوبل مع مجلة دبي عن دار الصدى- دبي.

١٣- رواية أشياء تتداعى تشنوا أتشيبي عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

١٤- أضواء على المسرح البريطاني عن جامعة القاهرة.

١٥- رواية موبي ديك هيرمان ميلفيل عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المســرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيـرون أهمية دوره الحيوي وما يمكــن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهــم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية (المدرسة) مع بدايــة ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحا تعليميا تربويا فقط، بل كان مسرحا يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحيــاة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامهــا بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشــراف بعــد انتقــال مسؤوليتــه إلــى دائــرة الشــؤون الاجتماعية، وتخصيصهــا إدارة للمســرح والفنــون ورعاية شؤون الفــرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة الإعلام في ما بعد)، وتطور معهــد الدراســات المسرحية إلى معهد عال لدراســة الفنون المسرحية أكاديميا.

وفي سبيل تنميــة الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكريا وأدبيا، ارتأت الــوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيــات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشــرف عليهــا الشاعر الراحــل أحمد العدوانــي، والدكتور محمد موافي أستــاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العــدد الأول مــن سلسلــة «من المســرح العالمي» في أكتوبــر عام ١٩٦٩

يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا حتى عام ١٩٩٨، بعد أن انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية (مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية)، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

الأمانة العامة

من المسرح العالمي

في هذا العدد

الهبوط من جبل مورجان

تتسم بجرأة التناول كما تتسم بالدقة الفكرية. في هذا العمر المتأخر استطاع ميللر أن يعيد التقاط الصوت الحاد ونشاط منتصف العمر. فقدر الكتاب المسرحيين أن يتوهجوا في وقت مبكر، ويظلوا عقودا يتحملون إعادة النظر المؤلمة العامة لنجاحاتهم المبكرة ونتيجة لذلك تتدفق لديهم الإبداعات حتى موتهم. يطرح ميللر من خلال البطل عدة أسئلة تلخص ثقافته وخبرته الحياتية التي تؤدي إلى عدة أجوبة يستطيع من خلالها أن يتفوه بالحكم التي يستفيد منها الآخرون. ومن أهم تلك الأسئلة: «هل يمكنك أن تحب أكثر من امرأة بشكل حقيقي؟ هل تستطيع أن تحصل على كل ما تريده؟ لا توجد حبكة تقليدية في تلك المسرحية، ربما الحادث لا يعتبر حادثا، فهي تعرض موقفا متوترا، تنتهي المسرحية بصراع لا ينتهي عمدا، فتتكشف المواقف الرئيسية خلال الاسترجاعات (الفلاشباك) أن مسرحية «الهبوط من جبل مورجان» تستكشف موضوعات خاصة وعامة في آن واحد، عبارة عن قضايا معقدة تخص العلاقات الخاصة، السبب والمؤثر في أفعالنا وسبل التعامل مع أحلامنا، شياطيننا وسبل الهداية منها. تزخر مسرحية «الهبوط من جبل مورجان» بالخيال والسريالية يظل معها المشاهد متيقظا ومفكرا حتى النهاية.

ISBN ٩٧٨-٩٩٩٠٦-٠-٤٦٦-٥
رقم الإيداع: (٢٠١٥/١٠٠٤)